خطتنا ايضاً

✯

نرى واجباً علينا ان نتحدث الى الناس ، ونتحدث اليهم في صراحة وصراحة مثيرة ، لا تحسب لغير الواجب القومي حساباً . خصوصاً ونحن في غمرة كل ما فيها يدعونا الى القول والمناشدة بالاصلاح ، فان من كنا ننتظرهم مصلحين رأيناهم شهويين ، وبذلك مسخت في طبيعتهم دعوة الاصلاح .

لذلك لن يحجزنا حاجز ما ، دون الغاية التي نعمل لها والتي وقفنا انفسنا لخدمتها ، هذه الغاية التي نراها نبيلة انبل ما تكون ، وشريفة اشرف ما تكون.

قد يكون نقدنا عنيفاً وقد يكون صارماً ، ولكننا نغتفر لانفسنا هذا العنف وهذه الصرامة ، ويغتفرها لنا ايضاً أولئك الذين لاعبت نفوسهم افكار الاصلاح ، وعهدوا امثالها في كل امة .

فما الاصلاح الا ثورة في الفكر، وثورة في النداء، وثورة في العمل . . وفي رأينا نحن الذين تحسسنا المناهج الاصلاحية في ضمائرنا ، ومستنا بتياراتها في عقولنا، انها شرارة ملهبة وقيذة، تملأ الكيان وتهز الاركان . وكذلك كان تاريخ الحركات الاصلاحية على الدوام ، فكرة فانقلاب فاستقرار على اساس جديد .

ان كل الرجال الذين عرفوا مجاني الثورات الثورية ، باركوها وقدسوا اشياءها . . والواقع ان الثورات الفكرية دائماً تخلق في العقل القومي وعند الجماعة جواً صالحاً، بما تبعث من التساؤل العقلي او ما يعبرون عنه بالريب الفكري المخلص الخالق .

وفرق كبير بين الريب الفكري الذي نعنيه وبين الريب الوجداني الذي هو تسميم للامة في الاخلاق والمقدسات والامجاد المثالية ، ودعاة الريب الوجداني جراثيم وهم كثير كثير ، والعجب انهم في تقدير الناس ايضاً حتى تركوا اليهم رعاية المصالح .

يجب ان نعلم — والمجتمع كالكائن الحي بدون قياس الفارق — ان ميزة العضو لا بمقدار ما يملك من الدم ، بل بمقدار ما يحرق منه ويجهد بسبيل الاعضاء الاخرى . فالدماغ والقلب ربما كانا افقر الاعضاء بالدم كمحصول ، ولكنهما اشرف ما في الانسان ، فالاول يحرق اضياء الفكر ، والثاني يجهد لبقاء الحياة . كذلك ميزة العضو في المجتمع لا بمقدار ما يملك من ثقة الجماهير ، بل بمقدار ما ينفع ، واذا ملك العضو الاجتماعي ولم ينفع ، كان كالعضو في الكائن الحي يعبر عن احتقان مضر للجسم . . .

ايها الشعب : ستبقى تائهاً ما لم تتوفر لديك عناصر الرقابة الشعبية، ومن ثم تشعر بوجودك وتقول بكل وثوق : اني هنا .

ايها الشعب : ان قواك المعنوية موفورة وهي كاملة فيك — لا كما يسممونك — وانما ينقصك ان تعتقد ذلك بنفسك .

ايها الجمهور : انت هو الكل الحقيقي ، وبيديك البناء والهدم ، فما يستحيل عليك الا ما لا تحب ان تعمله .

ايها الجمهور : اعتنق هذه الوصية الذهبية وهي اربع كلمات ، تكن قوة ماضية ثم لا تغلب ولا يلعب بك :

شعور بالمسؤولية الاجتماعية .

عشق للحقيقة والحرية .

معرفة بان الشعب هو الكل المقدس ومصدر القوى . اعتقاد بان التلاعب بحقوق الشعب، تآمر بحياة الكل ووجه لخيانة اثيمة .

اذا استحالت هذه الوصية في نفسك عقيدة مكينة ، ينتحر المزيفون وقديماً قال الشاعر العربي :

وتحت الرغوة اللبن الفصيح .

الاديب

لقـــد جنت تلك الكلمة

بقلم عبد الله العلايلي

☆

حكاية الكلمة كحكاية الكائن، بل هي اكبر من حكاية كائن ، انها حكاية طبيعة وتاريخ وخصائص .

والكلمة – لكي تتكون – تمر في ادوار استحالات واطوار تخلق ومنازل انتقال ، فتجيء وفي خلقها معنى الابداع .. فان نبضة الحياة تستحيل الى نبضة شعور ، ونبضة الشعور تستحيل الى نبضة فكر ، ونبضة الفكر تستحيل الى كلمة ، فالكلمة اذن هي وعي ذلك جميعاً .

وهي بعد ذلك او فوق ذلك ، نبضة تاريخ تبلورت فيه نبضة امة .

وفرنسا على حد تعبير زعيم اليوم فيها « من يقل فرنسا يقل ثورة » ، كذلك عرفها الناس ووعاها التاريخ يوماً وبعض يوم ، ثورة حق وكلمة انسانية صاعدة .

ولكن فرنسا سنة ١٧٨٩ و ١٨٣٠ التي حطمت القيود وفككت الاغلال وهدمت « الباستيل » ، وتذرعت الى ذلك باعنف واسمى نضال . هي فرنسا سنة ١٩٤٣ و ١٩٤٥ التي تصنع القيود وتشد الاغلال وتبني الباستيل في كل مكان من هذا الوطن العربي ، وتتذرع الى ذلك بادنى نضال واسوأ لون من الوان العيث والتخريب والافساد . ونحن ان نفهم في حاليها ، الا انهـا هدمت الباستيل الذي بات واهناً على القدم ، لتبنيه اكثر صلابة واشد ضراوة واوسع مدى . فلم تثر عليه بل ثارت من اجله ، ولم تغضب ضد عبودية الانسان بل ارادتها عبودية صارمة في كل مكان .

هذا ما يتسق لنا فهمه ، مع وحدة الخصائص التي تشدها وراثة واحدة وطبيعة واحدة . فان تأبى التاريخ علينا ، فليس لنا ولالتاريخ الا ان نقول « لقد جنت تلك الكلمة » ، فافلست طبيعة وتاريخاً وخصائص ، ولم تعد تعي .

انها اضاعت معناها ، واضاع الفرنسي خصائصه فبات شيئاً بائراً في مقياس التقدمية ، وبات في مقياس المدنية اعصاراً خطراً ، ينطلق وليس ينطلق الا بالسموم ومعنى الجدب .

ان جنون الكلمة اسوأ اثراً من التخلف والضمور ، بل والتقهقر والاندثار . انه انتكاس في الطبيعة وخروج بالخصائص عن قاعدة وعيها ، وعن اهليتها في كل شيء ، في المستوى والحياة والفكر ، بل عن اهليتها لحمل ارثها التاريخي الرفيع ، فقد انطلق الاعصار واطفأ الشعلة .

ان يونان القديمة تخلفت واندثرت ، ولكن حفظت كلمتهـا فظلت شعلة في التاريخ ، واحالتها الانسانية الى طبيعتها فهي تحيا ، وتحيا في الكل الانساني المشترك .

وان العرب القدامى تخلفوا مثل ذلك ، وظلت طبيعتهم تدور على نفسها ، ولكنهم لم يخونوا مجد الكلمة ، فبقيت خصائصهم في الفكر وفي كائنهم ، تنتظر البعث وتنتظرهم الحياة .

ان البرابرة كلمة مجنونة ، اي لا تعي وراثة ولا تلك خصائص مصقولة ، وحين دارت أتت على مدنية العالم القديم ، ونثرت جرثومة معناها في كل مكان . ولقد عانى العالم طويلاً وعناء شديداً ، حتى نقه من حمى جراثيمها وفتكات سمومها .

بعض كتاب الحضارة يذهب مع هذا الاعتبار ، فيجعل جنون الكلمة في حياة الامة ، شيئاً وراء تحجر الطبيعة وتوقفها اي شيئاً كالماء الراكد عن الحركة . فان فيه القوة لدى كل مناسبة لينقلب مستنقعاً آسناً ، ينتشر في الكل الحضاري بمثل ما ينتشر المستنقع في الكل العضوي ، بمعنى الفتك والتسميم .

وان جنون الكلمة ابداً ، هدم تاريخ واع وابتداء تاريخ مستطير ، يجيء في جوهره بربرية حادة .

وبذلك تلبس كلمة زعيم اليوم في فرنسا معنى جديداً « من يقل فرنسا يقل ثورة » ، اي على كل معنى نبيل جهدت الانسانية طويلاً وهي تتمخض عنه ، وهدرت كثيراً من فتانها ودمائها في سبيل تشييده واعلائه .

واحرى كثيراً ان يكون لهذه الكلمة في ضمير الطبع الانساني المهذب ، تعبير آخر « من يقل فرنسا يقل فوضى انحلال الطبيعة ، وانطماس خصائص الذات ، وحميات شخصية مريضة » . . .

يقولون في منطق مفاوك محموم « اذا تخات فرنسا حلت دولة اخرى » ، وهو منطق ليس ينبثق الا من عقلية آفنة وطبع نغل يمده اعتداد مريض . . فقد انبنى على حسبان الاجنبي المعتدي كشيء موجود ، وحسبان ارض الوطن كشيء موجود ايضاً يطمع في حيازتها ، والغى كل حساب لوجود الكائن الوطني وارادته ، رغم انها كل شيء في اعتبار المعنى الانساني الصاعد وعقل الديمقراطية السليم . . . وبفضل تأمل يسير ينكشف في تلافيف هذا المنطق بجلاء ووضوح ، شبح الروح الاقطاعي الذي كان يأخذ باعتباره : المتغلب « الشريف » ، والارض . اما الكائن . اما البشري فليس له ظل او وجود في مكان الحس من ذلك الروح .

فعلى م ؟ قضى الثائر سنة ١٧٨٩ اذن . . قضى من اجل ان يصنع فرنسا ولها قلب انسان ، فكان ، وكان قلباً آلياً فيه خفق الحركة وليس فيه حس الحي . فلا بدع اذا جاءت مآتيه بل مآثمه ، وليس فيها حس النبل او نبل الحس . . .

تؤثر عن « اناتول فرانس » كلمة تسفع وجه فرنسا ديجول (ان على باريس مهمة ، ومهمتها ان تعلم الدنيا . فمن ارض شوارع باريس التي طالما ثارت حجارتها لنصرة العدل والحرية ، تفجرت الحقائق المعزية المنقذة) . نعم انها تعلم اليوم ولكن بالحديد والنار ، ليت اناتول هذا يعود ، اذن قال معنا : لقد انتحرت هذه الاسطورة ، وجنت تلك الكلمة . . .

اذا كان التاريخ يعيد نفسه فانا مطمئن ومطمئن كثيراً ، فقد اذكرتني هذه المناسبة حادثاً فريداً وقع في تاريخ قدامى العرب ، يوم رام الفرنسيون في العهد الايوبي استهداف دمياط بالاعتداء . فكان ان غلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ، وسقط الملك اسيراً في ايديهم وقيد في دار تدعى دار ابن لقمان حتى افتدوه واغلوا فداءه .

بيد ان شهوة الاعتداء عادت فساورته ، وزينت له معاودة الكرة فقال شاعرهم يومذاك :

قل للفرنسيس اذا جئته ... مقال صدق من قؤول فصيح
دار ابن لقمان على حالها ... والقيد باق والطواشي صبيح

على انه ثنى عزمه واتجه قاصداً فرنسا ، وخامره وهو في الطريق استهداف تونس بما استهدف به مصر . فقال احدهم :

يا فرنسيس تونس اخت مصر ... فتأهب لما اليه تصير
لك فيها دار ابن لقمان قبر ... وطواشيك منكر ونكير

وكأن القدر كان يسمع وينظر، فلم يبلغ سواحل تونس حتى اخترمه الموت .

لقد شاء العدل في ضمير الكون، ان تحق كلمة العرب وتذهب باطلاً كلمة فرنسا .

لقد شاء ان تذهب كلمتها بالامس غير البعيد باطلاً ، في مصر وتونس وكل بلاد العرب . فلا بد ان تذهب كلمتها اليوم — والتاريخ يعيد نفسه — باطلاً ايضاً ، في الشام وتونس وكل بلاد العرب .

ان الامس بكل ما اجتمع فيه بعض من وجود اليوم ، الذي بدأ يتحرك واعياً وجوده ، وذاهباً في اتجاه امجاد الامس الذي هو بعض حقيقة اليوم الواعية .

ونحن هنا في لبنان وسورية ، وبعبارة اشمل واصح قومياً نحن هنا في الشام — وقد استفاقت الارادة الحرة فينا عاملة ناصبة — لن ننكمش ونرهب ، كيفما جثم الهول وكيفما استبد . بل على العكس يزيدنا ارادة وتطلعاً ، وغلاباً في اتجاه هذا التطلع وهذه الارادة انا نطلب الحياة ولو في جو الآلام، ونلح في طلبها كذلك، كي تبنينا بناء قوياً جلداً فلا نضعف ولا نخور ، مهما تناثر في طريق كفاحنا المقدس المنشود .

فان الالم يدفع الالم ، وان الحديد بالحديد يفلح ، وبذلك نحس باحساس المتنبي الجبار ، الذي كان عنوان الروح العربي والخلق العربي والتجلد العربي في قوله :

فطعم الموت في امر حقير ... كطعم الموت في امر عظيم

والعرب الذين ولدوا في الكفاح ليس بينهم جبان ، فلن يهنوا ولن يرهبوا .

سوف نخرج من الاتون بالمعنوية النيرة ، ومن الآلام بالبناء الارادي الجبار ، ومن ثم ينبثق الشعب المجيد في خطة طلب المجد .

ان العربي القديم الذي وضع لبنات مجدنا ، كان اناتياً في التصبر على الآلام ، والتجلد على الصعاب وباحساسه عبر المتنبي :

انا صخرة الوادي اذا ما زوحمت ... واذا نطقت فانني الجوزاء

عبد الله العلايلي



على اطلال دمشق بكت ولدها !

بقلم عبدالله المشنوق

صباح يوم من ايام الربيع الباسمة قرأت في نشرة انباء الحرب الاميركية مصرع نجل الدكتور بيرد ضودج رئيس جامعة بيروت الاميركية ، في صفوف النار الاولى في جبهة فرنسا ، فشق عليّ نعيه لما يربطني باستاذي الرئيس ضودج والسيدة عقيلته من صلات المودة والصداقة . فهرعت مسرعاً الى الجامعة الاميركية اشاطر الوالدين المفجوعين هذا المصاب الجلل . دخلت منزل الرئيس فاذا بالازهار ما تزال في اماكنها من المزهريات ، واذا بالجو هادىء وليس فيه ما يدل على ان ربة الدار قد اصيبت بفقد احد نجليها ! واستقبلنا الرئيس والابتسامة على ثغره ، فخيل اليّ لاول وهلة ان النبأ كاذب او ان ثمة خطأ في الاسماء ، ولكن سرعان ما تبدد هذا الوهم عندما قال الرئيس :

— ليس من عادتنا ان نستقبل في المآتم ، ولكننا نعتبر زيارتكم هذه شخصية صميمية . لقد مات ولدي قبل ان يتم الواحد والعشرين ربيعاً ، وكان رحمه الله شجاعاً مقداماً . فطلب ان يلتحق بالطلائع الاستكشافية في خطوط النار الاولى حيث لقي حتفه فأدى واجبه لوطنه وللانسانية . انه لمؤسف حقاً الا يجد البشر وسيلة غير النار والحديد للقضاء على فكرة الطغيان ، ألا ترى معي ذلك ؟

وقبل ان اتمكن من الاجابة على سؤال الرئيس ، دخلت السيدة عقيلته وليس في قسمات وجهها ما ينم عن الكارثة التي نزلت بها ، وكانت هي الاخرى تبتسم – وقد بدا في صدرها نجمان – وتقول :

— كان المرحوم يكتب الينا من حين الى آخر . هذه صورته بملابسه العسكرية ، انه جميل فيها ! . الا ترى ؟ . كنا ننتظر ان نراه في اجازة الصيف القادم بعد غياب ثلاثة اعوام كاملة ، ولكنه راح ضحية الواجب . . اني فخورة بابني فقد مات في سبيل المثل الانسانية العليا ، في سبيل الحرية والعدالة ! ولم تذرف عيناها دمعة واحدة ! . ثم طفقت تحدثنا عن اعمالها في الصليب الاحمر وعن عزمها على تكريس جميع اوقاتها بعد وفاة ابنها لخدمة هذه المؤسسة الانسانية .

*

يا لله . لقد انعكست الآية . . . ذهبنا نعزيها فاذا بها يعزياننا ! . . .

يا لله ، من اي معدن قدت هذه الاعصاب الفولاذية التي تجمعت فشكلت كائناً حياً ينطق بما يفتت الاكباد ولكن لا تدمع له عين ! . التفت الى صديقي بعد مغادرتنا المنزل وقلت له :

— هذه تربية عالية جداً ، وهذه اخلاق نبوية ! لقد نسيت انها ام قبل كل شيء ، فتغلبت المثل الانسانية العليا على عاطفة الامومة ! . .

فاجابني صديقي : — علل هذا الصبر كما تشاء فلن يبدل تعليلك هذا اعتقادي بان هذين الوالدين الشاكين هما فوق البشر وان بهما مسحة آلهية . . . ثم سألت رفيقي :

— وما معنى هذين النجمين في صدر الوالدة الثكلى ؟ . .

— كل نجم يدل على ان لحامله ابناً في الجيش . . لقد سقط نجم وبقي لها نجم ! . . حرسه الله .

*

ومنذ ايام قليلة سافرت عقيلة الرئيس ضودج الى دمشق فرأت بأم عينها آثار المأساة الدموية وزارت المستشفيات وشاهدت الاطفال الذين فقدوا بصرهم او ذراعهم والشيوخ المشوهين بالقنابل والنساء المثخنات بالجراح ، ورأت اطلال البارلمان وشارع رامي وسوق سارو جه ، فاغرورقت عيناها بالدمع وقالت :

— هذه اول مرة ابكي فيها ولدي ! . لقد مات ولدي في سبيل لا شيء ! . .

يريدون عقولنـــا !..

بقلم بهيج عثمان

•

قدمت الحكومة الفرنسية مذكرة الى حكومتي سورية ولبنان تطلب فيها مطالب « استراتجية » واقتصادية وثقـافية . وهذه كلمات تضم مرافق الحياة كلها .

ليست هذه المطالب جديدة، فان من يطلع عليها يتذكر سريعاً طلبات تشبهها وجهها « بيشون » وزير خارجية فرنسا بعد الحرب الكبرى الماضية الى الامير فيصل عندما ذهب الى باريس يطالب مؤتمر فرساي باستقلال سورية ، قال بيشون : « ان لفرنسا حقوقاً تاريخية وشرعية وادبية في سورية ولبنان » .

وهذه الحقوق التاريخية والشرعية والادبية انتهت الى انتداب ذقنا مرارته طيلة ربع قرن ، واليوم يريدون « مركزاً ممتازاً » في الثقافة والاقتصاد والمواقع الحربية .. ولا شك انها تؤدي ، لو خطرت في انفسنا فكرة التسليم بما يريدون ، الى وضع اشد من الانتداب وأدهى ..

وندير الكلام الآن حول المطلب الثقافي الذي ينحصر ، كما تقول المذكرة ، بحماية المصالح الثقافية الفرنسية في البلدين على ان تحدد هذه المصالح فيما بعد في اتفاق « جامعي » .

يستنجدون بالتاريخ ليبرروا طلبهم فيدعون ان لهم حقاً تاريخياً في هذه البلاد او صلة تقليدية بها .. ولكن التاريخ ينكر اشد الانكار هذا الحق ، ويعلن ان صلتنا بفرنسا كانت اضعف صلة اتصلنا بها بأمم العالم خلال اجيال التاريخ منذ اقدم العصور .

فبلادنا عرفت العبرانيين والفرس واليونان والرومان والاتراك والفرنسيين ، فاذا كان اليونان الذين مكثوا في بلادنا مائة وسبعين سنة ، والرومان الذين مكثوا مئتين وستين سنة ، والعثمانيون الذين مكثوا اكثر من اربعة قرون ، لم يستطع اي واحد منهم ان يدعي مثل هذا الحق ، ولا نقر نحن لوارثي بلادهم ان يفكروا بمثل هذه الصلة التقليدية ، فهل من المعقول ان تحمل فرنســا عدة سنوات تلوّح بها في وجه التاريخ بين الحين والحين ..

قد يقولون ان الاثر الثقــافي لهذه السنوات القليلة كان اشد واعمق من آثار كل تلك الدول التي وجدت على سطح هذه البقاع .. ووجود هذا الاثر الثقافي يثبت مثل هذا الحق التقليدي ..

فنجيب ان فكر اليونان قد ترك في كل الامم آثاراً بعيدة ، ولا تزال فلسفة اليونان حتى اليوم ينبوعاً يستقي منه المفكرون غذاء لهم ومادة لاتجاهاتهم الفكرية ، فهل فكر خلفاء اليونانيين ، او هل يصح لهم ان يفكروا ، بحقوق اقتصادية او استراتجية او مصالح ثقافية في كل انحاء العالم ... وفرنسا التي وردت ينبوع اليونان الفكري ... هل تقر بمثل هذه الحقوق لمثل تلك الاسباب ...

وبالرغم من ان وجود مثل هذا الاثر ، مهما كان قوياً ، لن يكوّن حقاً يستمر مع الزمن ، وتتناقله الاجيال .. فاننا نود ان نلقي نظرة سريعة على معالم العلاقات الثقافية بين فرنسا وبين سورية ولبنان ، او بكلمة اصح بين الغرب والشرق العربي في العصور الوسطى والعصر الحديث .

لم يكن اول اتصال فكري بين الغرب والعرب، ذلك الذي كان خلال الحروب الصليبية كما يتخيل البعض ، ولم يجر في بلاد الشام ، بل كان في مركزين هامين : الاول في الاندلس، والثاني في صقلية وجنوبي ايطاليا ، وكان حظ العرب في كلا الاتصالين انهم هم العاطون ، فقد كانت ثقافتهم ارقى من كل الثقافات التي كانت منتشرة في ذلك الوقت ، ففي صقلية ، قدم العرب في مدى قرنين ونصف علومهم وآدابهم وصناعاتهم وعوائدهم الى هذه البقعة من الغرب ، فتمثل سكانها حضارة العرب وكان منهم رجال كبار

ساهموا في تقدم الثقافة العربية ورقيها ، وكتب التاريخ عند العرب تسجل عشرات الاسماء البارزين الذين يرفق بها لقب « الصقلي » . وفي الاندلس تخرج اكبر اعلام اوربا في العصور الوسطى ، وكان الاتصال بين اوربا الغربية والعرب مستمراً بقوة في قرون عديدة . . وقبل ان تنشب الحروب الصليبية بثلاثة قرون على الاقل . . .

نستطيع اذن ان نحدد بدء الصلة الفكرية بين سكان فرنسا وبين العرب في القرن الثامن الميلادي ، هذه الصلة التي كان العرب هم الذين يعرضون ثقافتهم ويقدمونها لهم .

ووقعت الحروب الصليبية ، ويذكر المؤرخون الفرنسيون « ان فرنسا قد استفادت من الاتصال الوثيق بينها وبين الشرقيين ، ذلك ان التبادل الفكري رافق التبادل التجاري بين الفريقين واذا بالشرق - يقصد سوريا ولبنان - ينفذ بمعارف اطبائه وشـارعيه وفلاسفته ورياضييه وفلكييه وبأشغاله الحريرية الدقيقة واسلحته الدمشقية وسائر فنونه » .

فاذا كان مؤرخو الفرنسيين يسجلون الجني الفكري الذي جناه الفرنسيون من سورية ولبنان في الحروب الصليبية ، فمن الذي يجوز له ان يطالب المركز الممتاز من الآخر ؟!

وضعفت صلة الفرنسيين الفكرية بالعرب بعد انتهـاء هذه الحروب فلم تكن تبدو هذه العلاقات طيلة خمسة قـرون الا في بعض الرحلات التي قام بها افراد معدودون الى بلاد الشرق ، والا في بعض المحاولات التي قام بها الاوربيون لدراسة اللغة العربية ، فقد عقد مؤتمر كبير في فيينا عام ١٣١١ قرر فيه ان تؤسس في باريس واكسفورد وسلمنكه مدارس خاصة تدرس فيها العربية ، وفي عام ١٥٨٧ انشىء منبر للدروس العربية في « كوليج ده فرانس » .

وطبيعي ان دراستهم للعربية هي وليدة الحاجة الماسة ليس غير ، فأول كتاب علمي عربي طبع في اوربا هو قانون ابن سينا ، فهم يتلقون العربية ليفيدوا من ثقافتها في جميع نواحي حياتهم الفكرية والاجتماعية . ومن هنا نشأت نزعة الاستشراق التي كانت تهدف في الاصل ، الى غايات دينية في القرن الخـامس عشر ، ثم انقلب هدفها في القرن الثامن عشر سياسياً ، فانشئت جمعيات استشراقية في بلاد شرقية كثيرة ، كانت غايتها البحث العلمي النزيه في الظاهر ، وكتابة التقارير السياسية في حقيقة الامر . وهذا لا يمنع وجود فئة من المستشرقين دفعهم حب البحث العلمي الى خدمة اللغة العربية وعلومها ، والى نشرها باخلاص وغيرة قد لا يتوفران عند بعض العرب انفسهم .

وكانت حملة نابليون على مصر مؤلفة مـن جيشين : جيش للمحاربين وجيش من العلماء ، هذا الجيش الذي تناول مصر بدراساته وأبحاثه ، وانشأ « معهد القاهرة » وتولى العمل فيه طائفة من كبار العلماء الفرنسيين ، وانصرفوا الى دراسة الآثار حتى وفق العـالم الفرنسي شمبوليون الى اكتشاف حجر رشيد الذي حلت عليه رموز الكتابة الهيروغليفية . وكان أثر هذه الحملة بعيداً في مصر فقـد اصبحت ميداناً خصباً للثقافة الفرنسية ، وأصبح رجال الفكر الفرنسي اقرب الى نفوس المثقفين المصريين من غيرهم ، ولعل أهم هذه الاثار الثقافية هو القانون الفرنسي الذي نسج القانون المصري على غراره .

ولم يكن في وسع نابليون ان يتجاوز عكا شمالاً ، فـانه اضطر الى العودة الى فرنسا . . .

واذا توافدت البعثات العلمية فيما بعد من كل صوب من العالم العربي الى فرنسا لتنهل من ثقافة معاهدها ، واذا عقد زعماء العرب وطلابهم مؤتمراتهم في فرنسا يبحثون فيها مشكلات بلادهم ويسعون لتحريرها من الانيار التي رزحت تحتها ، فلا يعني شيء من هذا اننا نقبل بربط مصيرنا الثقافي بهذا الينبوع ، ولا يعني ان نقدم بلادنا طعمة لاستعمار فكري ، اشد خطراً من الاستعمارين الاقتصـادي والسياسي .

في خلال هذه الحقبة الطويلة ، تبـادل ، ولا ريب ، الادبان العربي والفرنسي التأثر والتأثير ، وهذا امر جد طبيعي يقـع بين آداب كثيرة . ان التلقيح والاقتباس والتفاعل بين الآداب عوارض تعتري آداب الامم منذ القدم ، واذن فان اقتباس مؤلفينا وادبائنا بعض ميزات من ادب ما ، ليس مبرراً لان نمهر ثقافتنا بطابع غير طابعنا ، نحن الذين انتجنا هذه الثقافة بعد ان تمثلت فينـا عناصر مختلفة لتكوينها .

هذه هي العوامل التي تركها التاريخ للصلات الثقـافية التي ربطت فرنسا بالشرق ، وسورية ولبنان منه خاصة ، تبين بجلاء شديد بساطة هذه الصلات ، وعدم امتيازها عن اية صلات تقع بين امة وأمة وثقافة وثقافة .

ونحن ، عندما نرفض مطالب الحكومة الفرنسية المؤقتة ، لا نسيء الى الثقافة الفرنسية التي أشاعت الحرية في الارجـاء . . ونهضت بالعقل الانساني مراحل نحو الرقي . . ولكننـا نرفض مطالبها لان المدارس الفرنسية في بلادنا علمتنا انها لم تكن ، على الغالب ، مراكز ثقافية ، بل كانت قواعد استعمارية ، ان ابنيتهـا

كانت تدل على انها انشئت للتعليم والدرس ، ونتائجها تظهر انهـا للتشريه والدس . .

كانت المدارس في لبنان قبل دخول الفرنسيين بعد الحرب الماضية ، قسمين الاول اميركي النزعة ، كانت النزاهـة والحرية والانصراف الى البحث والدراسة غالبة عليه ، والآخر فرنسي . . . هو الطلائع الاستكشافية والمقدمات الاولى للانتداب . وفي هذه المدارس الفرنسية ، ينشأ جيل من ابناء البلاد لا يدرس تاريخ الوطن ولا جغرافيته ولا ادبه ، واذا درست هذه المواد فباتجاه خاص وتشويه واضح ، تقتل في النشء وعيه القومي الذي يرتبط بماضي الامة وبأرضها التي نشأ عليها هذا الماضي

وكان كفاح الفرنسيين للغة العربية واضحاً اشد الوضوح طيلة سنوات الانتداب ، فالفرنسية لغة رسمية الى جانب العربية ، واذا كنت ايها الطالب لا تتقن العربية ففي وسعك ان تنال «البكالوريا» الفرنسية وهي موازية لزميلتيها اللبنانية والسورية وفي هذه الشهادة تقدم امتحاناً في اللغة الفرنسية ثم تختار « لغة اجنبية » الى جانبها ، يجوز ان تكون هذه اللغة الاجنبية : الانكليزية او الالمانية او اليونانية او . . . العربية . ومناهج التعليم تقدم أجلّ خدمة لتيسير مكافحة اللغة العربية ، فتوزيع المواد واختيار الكتب والتقيد بالنظـام الفرنسي بدون تفهم حاجات البيئة ، كل ذلك رهن لتيسير هـذه المهمة .

وفي المعاهد الفرنسية العالية التي تدرس الطب والهندسة والحقوق ، رقي ظاهر في دراستها ولكن يرافق هذا الرقي روح تنفثها فتفسد العلم الذي تخدمه والاصلاح الذي تقوم به .

وكان الى جانب هذه المدارس التي تضعف لغتنا وتشوه ادبنا وتقطع صلتنا بتراثنا ، صحافة أجيرة تقاوم الصحافة الحرة ، وتغذي الرأي العام الذي لم تدر كه تلك المدارس ، او التي ادركته ولكنه لم يقع بين مخالبها ، صحافة يومية تنشر الاخبار التي يروجونها ، وصحافة دورية ترتدي الثقافة رداء تستر وراءه مآرب وغايات يريدون بثها على نحو يساعد على قبولها واخفاء خطرها .

وفي أشد ايام الانتداب ظلاماً ووطأة ، كان الشعب في سورية ولبنان يجاهد جهاداً ثقافياً عنيفاً فيسكت حيناً على مضض ، ويتململ فيصرخ احياناً ، ولكن هذا الصراخ من شدة الاذى كان يصل صداه الى الخارج ، والى عصبة الامم خاصة ، صيحات من الفرح . . . وكانت المؤسسات الثقافية الحرة ، على اختلاف نزعاتها ، تنتشر في كل مكان وتعمل بهدوء وصمت غارسة في قلوب الجيل المبادىء الانسانية السامية ، نافخة في اعماقه القومية الصحيحة الواعية ، دون اكتراث بالعراقيل التي تواجهها .

ان جهادنا الثقافي ، لم ينته بعد ، فلا تزال امامنا مراحل طويلة ، فثمت عقليات تكونت ونمت في ظل المدارس الموبوءة ، تحتاج الى جهد متواصل وعناية منظمة ، وثمت هياكل واصنام مـن النظم والمناهج قائمة يجب ان نحطمها . . بعد ان نزيح من الدرب عبيدها الذين يحيطونها بهالة من القداسة فلا يجرأون على معارضتهـا بله استئصالها . .

وعلى الحكومة ان تشرف على العمل الثقافي فتراقب مؤسسات التعليم مراقبة دقيقة حتى اذا وجدت في احداها زيغاً او شذوذاً الغتها فوراً ، وعليها ان تسيطر على مجاري الفكر كالصحافة والاذاعة والجمعيات الثقافية فتوجهها توجيهاً قومياً وتنهض بها نحو العزة والكرامة فتكون اداة سليمة من ادوات الاستقلال .

ان كل قاعدة من قواعد الثقافة الفرنسية في بلادنا ، مدرسة كانت او جمعية ، او صحيفة ، أهون اخطارها واقل سيئاتهـا هو اندلاع الرصاص منها وانطلاق القنابل من نوافذها ، كما حدث في دمشق في الاحداث الاخيرة . . فالخطر الحق في هذا الجو الملوث الذي يتنشق الطلاب هواءه عندما يتلقون دروسهم ، وفي هذه المواد الدراسية يخالطها الدجل والحط من شأن الوطن الذي يعيشون تحت سمائه . ان كل مصلحة ثقافية وكر للدس على حرية بلادنا ، يخرجون فيه جيلاً مسمم العقيدة ، مزعزع العاطفة ، طري الاخلاق .

انهم يريدون عقولنا . . يقيدونها بثقافتهم دون ثقافـات العالم جميعاً ، يريدون عقولنا . انرى بعيونهم ونفكر برؤوسهم ونعتقد آراءهم . . ويريدون ان نسجل ذلك في اتفاق « جامعي » لنربط مصيرنا الثقافي بنصوص هذا الاتفاق .

ان مدارس ومصالح ومؤسسات لم تستطع مدى قرون متباعدة ان تخضعنا ، مع ان وسائل هذا الخضوع كانت وافرة ، فهـل تستطيع نصوص واتفاقات ان تجعل من شخصيتنا غيرهـا ، وان تكبت مقوماتها ؟

ان نكون اجراء فنوقع على صك عبوديتنا الفكرية ، اننـا احرار نتلقى ما نشاء ونقدم لابنائنا الغذاء الفكري الذي نشاء . . ولكنه الغذاء النقي الذي يضيف دعامة صلدة جديدة في بناء هذا الوطن العربي الكبير .

بديع عثمان

تاريخ الزجل في لبنــــان

☆

بقلم امين نخله

•

نشرنا في الاديب الماضي صفحات عن « تاريخ الزجل » اخترناها من المقدمة التي قدم بها الاستاذ امين نخله ديوان والده المرحوم رشيد بك نخله الذي يصدر خلال هذا الشهر ، واليوم ننشر القسم الذي يبحث فيه عن الزجل العربي في لبنان .



المرحوم رشيد بك نخله

أما الزجل في لبنان فهو فرع من تلك الطرائق القديمة ، التي سبق الكلام عليها[1] . وكل ما عند القوم من تأريخه الخاص ان زماناً طويلًا امتد به على السكون وافتقار المادة ، قبل أن ينتهي الى هذه الايام المتأخرة ، ثم انه خدمته السليقة ، ومده الاطّلاع ، ومحّصه النقد، فتدفق في مختلف المعاني ، وما زال يترقى شيئاً فشيئاً .

قال الاب شيخو في « شعرآء النصرانية بعد الاسلام » (٤ : ٤٤٩) : « وكأن فن الزجليات أخذ ينتشر في انحآء الشام في القرن السابع عشر على مثـال ابن القلاعي[2] وعيسى الهزار[3] وميخائيل حاتم[1] ففي مكتبتنا الشرقية نحو عشرة مجاميع من ضروب الزجليات المختلفة الاوزان والادوار وأغلبها من القرن السابع عشر » .

وقال ويل في « دائرة المعارف الاسلامية » الفرنسية ، ما معرّبه ملخصاً (١ : ٤٧٤) « منذ القرن الثامن ، للهجرة — الموافق للقرن الرابع عشر ، للميلاد ، على التقريب — لم يُعنَ بالموشح والزجل الا شعراء من المشرق » .

وكان يقال للزجل في لبنان ، وذلك من أقدم عهود اللبنانيين بتعاطيه ، حتى بضع سنين من يومنا ، هذا : المعنّى . وكان يقال له ، ايضاً : القول ، ويقال لصاحبه : القوال[2] . قال والدي في مذكراته الادبية الخطّية ، من كلام له على هذه التسميـات : « والذي عندنا ، في مسألة تسميته بالمعنّى ، ان زجلنا القديم كان وقفاً على الغزل وحكايات أحوال العشق ، وما هو في سبيل منه . فسُمّي يومئذ معنّى — والمعنّى هو ايضاً المتعب المضنى — لذلك[3] .

---

(١) الاديب الجزء السادس السنة الرابعة

(٢) هو المطران جبرائيل اللحفدي ، المشهور بابن القلاعي . وُلد ، على الترجيح ، في بهرة القرن الخـامس عشر ، وتوفي سنة ١٥١٦ — راجع ترجمته في «تأريخ الطائفة المارونية» للدويهي (ص ١٤٠ و١٥٣ و٤١٢) . وراجع خلاصة أخباره ، وجانباً من أزجاله في « شعرآء النصرانية بعد الاسلام » (٤ . ٤٢١ — ٤٣٥) . وراجع جدول مؤلفاته في « المجلة البطريركيه » (١٠ (١٩٣٥) : ٧٩ — ٨٤) — وقد جـآء عنه في « شعرآء النصرانية بعد الاسلام » (ص ٤٣٥) : « اول قوال لبنـاني صبرت زجلياته على آفات الزمان ، فلهجته تشعر بقرب عهد اللبنـانيين بالتكلم بالعربية مع آثار اللغة السريانية الشائعة بينهم » . وقال الاب لامنس في مجلة « المشرق » (١ (١٨٩٨) : ١٤٦) : « ولدينا بعض هذه الميامر — يعني ميامر ابن القلاعي — محفوظة في مكتبة كليتنا وهي أشبه بالأزجال » .

(٣) من نصارى العجم ، قدم الى القدس ، وجول في أنحآء الشام ، وكان يلقب نفسه « بعيسى الهزار الشرقي » ، وكان قسيساً . عاش الى أواخر القرن السادس عشر — راجع ترجمته وعدة من أزجـاله في « شعرآء النصرانية بعد الاسلام » (٤ : ٤٣٧ — ٤٤٠) ، وفي مجلة « المشرق » (٩ (١٩٠٦) : ١٠٩٨ — ١١٠٤) .

---

(١) هو الشيخ ميخائيل بن حاتم الحمصي . ولد في حمص ، في أواخر القرن السادس عشر . وكان معاصراً لعيسى الهزار ، وتأخر بعده . سكن مصر ودمشق ، ولا تعرف سنة وفاته . ولعله عـاش في أواخر القرن السابع عشر — راجع ترجمته ، وشطراً من أزجـاله في « شعرآء النصرانية بعد الاسلام » (٤ : ٤٤١ — ٤٤٤) .

(٢) وكان يقال له ، ايضاً : « ابن الفن » و « ابن الكار » ، أي ابن الصناعة ، و« ابن الذكا » ، بالذال المعجمة ، أي ابن الذكآء وحدة الفؤاد .

(٣) نقل الاستاذ توفيق عواد في مقالته «الشعر العامي» من كتاب « نيل المتمنى في فن المعنى » المخطوط ، وهو للاستاذ عيسى اسكندر المعلوف ، قوله (مجلة المشرق ٢٨ (١٩٣٠) : ٤٤١) : « والـذي أراه في تسميته — يعني تسمية المعنى — انه سمي باسم قائله لانه شكوى العـاشق الحزين الذي يسمونه المعنى ، فيكون معناه لسان المعنى » .

وكأنما سمّوا صاحبه قوالا للاعتماد في نظم المعنّى على النغم ، دون الوزن ، وللتغني في ارتجاله . والقوال هو ايضاً المغنّي . ثم اشتقوا من اسم صاحب الصناعة اسماً لصناعته ، فقالوا : القول . وحين يكون الامر هكذا ، لا يكون قولهم « قوال معنّي » بعيداً ، أي معنّي رقائق العشق والضنى . ولقد سألنا أولادنا الزجالون في هذه الايام ، بعد أن جمع الزجل بين الغزل وسائر المواضيع ، كيف الاشبه بتسمية هذا الفن ، فرأينا ان لا بأس باسم الزجل — اي ان بضاعته قد رُدت اليه ».

ولعل اقدم ما انتهى الينا من انواع الزجل اللبناني زجلية نظمها ابن القلاعي في وصف حوادث لبنانية تاريخية ، جرت في القول الراجح بين السنة ١٠٥٧ والسنة ١٤٥٠ الميلاد ، وعنوانها : «مديحة على جبل لبنان بلحن افرامي » . وقد نشرتها « المجلة البطريركية » (١٠ (١٩٣٥) : ١٠—٧٢) وجعلت اسمها « حروب المقدّمين » .

وهي من النوع الزجلي الذي قلد فيه قدماء الموارنة ، في بعض صلوات لهم ، يأتون فيها بسير جماعة من القديسين ، أناشيد سريانية ، معروفة «بالافراميات»(١) نسبة الى مار إفرام السرياني(٢) . وكانوا ينغمون بذلك في كنائسهم . وقد سمّوا القصيدة منه « بديحة » اشتقوها من المديح ، لاحتوائها سيرة القديس الذي جُعلت لاحسان الثناء عليه . وما زال الموارنة ، في بعض صلواتهم ، ينغمون بالافراميات الزجلية ، الا انهم جعلوا لغتها وسطاً بين العاميّة والفصحى(١) . وهذا أول زجلية ابن القلاعي :

ابـدا باسـم الله الرحمـان واعطي أمان لمن هو وخفان(٢)
نمـدح في طيب الالحـان نجهر عوارض هذا الزمـان

ويرى «لوسرف» في كتابه « الادب العاميّ » ان أقدم الازجال اللبنانية هي مرثية ابن القلاعي ، التي يبكي فيها رفيقاً له ، غرق في البحر . قال لو سرف هناك ما معربه (ص ٥٣) : « يرجع عهد هذه الزجلية الى القرن الخامس عشر ، وهي للراهب جبرائيل القلاعي ، الذي ولد في قرية لحفد ، وطلب العلم في رومة ، وعاد منها الى لبنان في سنة ١٤٩٣ ، ويومئذ نظم زجليته » .

وقد نشر الاب منش في مجلة « المشرق » تلك المرثية (١٨ (١٩٢٠) : ٢٥٠—٢٥٦) ، وذكر في التمهيد لها انه نقلها عن النسخة الوحيدة الموجودة في المكتبة المارونية في حلب (عددها ٧١٢) ، وان المرثي هو الاب يوحنا ، من الرهبانية الفرنسيسية ، استاذ ابن القلاعي ورفيقه ، وان الدويهي في «تأريخ الطائفة المارونية» يقول ان اسمه (ص ٤١٢) : « القس يوحنا الماروني » . ثم قال الاب منش ان هذا القس يوحنا كان وابن القلاعي أول راحلين من الموارنة الى الغرب ، في طلب العلم . ذكر الاب منش هذا ، وذكر غيره ، مما يتصل به ، لكنه سكت عن مسألة قدم المرثية ، وعن كون ابن القلاعي قد نظمها في أول عهده بنظم الازجال ، كما يفهم من كلام لو سرف ، الذي تقدم . وهذا أولها (٢٥٢) :

اصبح الغريب مجـاظر كالطير من غير جنـاح
من أجل مـا قد يباشر عـن اختبـاط الرياح

---

(١) قال الاب شيخو في مجلة « المشرق » (٢٠ (١٩٢٢) : ٧٢٤) : « الابيات الافرامية تتألف من أربعة شطور ثلاثة منها على روي واحد ، والرابع على روي يعود في ختام كل الابيات » .

(٢) مار افرام السرياني ابو البيعة السريانية ، ومن آباء الكنيسة ، له شروح على الاسفار المقدسة من الطبقات العلى ، حتى لقب « بكنّاري الروح » — وفي « مدرسه نصيبين الشهيرة » للسيد ادي شير (ص ٨) : « سماه السريان الشرقيون نبي السريان وملفان الملافنة وافرام الكبير وعمود البيعة . ودعاه السريان الغربيون شمس السريان وكنارة الروح الى غير ذلك » . وقال الاب شيخو في مجلة « المشرق» (١٨ (١٩٢٠) : ٧٢١) : « القديس افرام السرياني الملقب في الكنائس الشرقية بصنّاجة الروح القدس » — وله شعر في الربوبيات غاية في الرشاقة ، وقوة الطبع ، وشفوف الحس . ولد في نصيبين ، في الجزيرة ، في اوائل القرن الرابع وتوفي ، على ما في « معلمة لاروس الكبرى » (٤ : ٢٢١ — طبعة سنة ١٩١٢) سنة ٣٧٩ ، وعلى ما في « مدرسة نصيبين الشهيرة » (ص ٦) في ٥ من حزيران سنة ٣٧٣ راجع ترجمته في « معلمة لاروس الكبرى » و « مدرسه نصيبين الشهيرة » و « سيرة القديسين » ، طبعة بيجان ، و « المكتبة الشرقية » للسمعاني ، وراجع في شأن مخلفاته الكتابية « المجلدات الستة من مؤلفات مار افرام » للسمعاني ، ومجلة « المشرق » (١٨ (١٩٢٠) : ٧٢١ — ٧٣١) ، و « ميامر مار افرام المعروفة بالميامر النصيبينية » طبعة بيكل ، و « مجموعة تآليف مار افرام الغير المنشورة » للامي ، و « الاداب السريانية » لدوفال .

ولقد عرب البطريرك اغناطيوس افرام الثاني السرياني في «مجلة الآثار الشرقية» (١ (١٩٢٦) : ٤٤٥ وما يليها) لمار افرام اسمها « عيد الميلاد » ، جعلت الحروف ، في ابتداءات ابياتها ، مرتبة ترتيب الحروف السريانية . وهي طريقه الالفيات فى الزجل اللبناني ، التي ترتب الحروف في ابتداءات ابياتها ترتيب الحروف العربية .

(١) قال الاب شيخو في مجلة « المشرق » (١٨ (١٩٢٠) : ٧٣١) : « ثم انتشرت اغاني افرام وتسابيحه ومنظوماته التي وضعها في كل أسرار الديانة المسيحية ومواسمها وأعيادها بالكلام المنسجم والتشابيه البديعة والمعاني المبتكرة فتهافتت اليها الكنائس السريانية وتفننت بها في فرائضها الدينية ورتبها الكنسية وقسم كبير منها لا يزال حتى يومنا هذا من جملة الصلوات التي يتلوها الرهبان والاكليروس عند السريـان والكلدان والموارنة » .

(٢) خائف (المجلة البطريركية ١٠ (١٩٣٥) : ١٠ — في الحاشية الاولى) .

اخي العزيز قد تخـاطر والمـآء من فوقه طفاح
ويـلي وياقطع قلـبي لما تنشقت هذا الخبار(*)

ونشر الأب حرفوش في مجلة « المشرق » (١٤ (١٩١١) : ٤٣٣—٤٣٧) زجلية أُنفاً، لزجال اسمه : « سليمان » ، من «اشلوح»، وهي تدور (ص ٤٣٣) « على خراب طرابلس وأخذها من يد الصليبيين » . وقد رجّح الاب حرفوش « ان الشاعر معاصر للحادثة — ٢٧ من نيسان سنة ١٢٨٩ — او قريب العهد منها ، او لا اقل من انه كان ذا اطّلاع ، اذ طبّق وصفه وروايته على ما رواه المؤرخون من عرب وافرنج » . ثم قال : « اما اشلوح فعلى مـا يظهر قرية من جهات طرابلس الا اننا لم نتحقق موقعها ، ولعلهـا اليوم قد خربت» . وقال، ايضاً ، يعلّق على هذا البيت من الزجلية :

قايلها شاعر اشلوح مسكنه مشهور بين الورى اسمه سليمان

(٤٣٧ — في الحاشية ٢) : « اين هي اشلوح ؟ اعلها خربة قرية الان في جوار طرابلس ، وندع البحث للمطالعين » . وقال في كلام له على قدم تلك الزجلية (٤٣٣) : « أثر فريد لانها أقدم زجلية لبنانية نعرفها(**) » .

اما القول بأن اقدم ما انتهى الينا من الزجل هوالبيت المشهور :

جـوزك يا مليحـة راح عالشـام وحدو

(*) قال الاب منش يشرح الالفاظ المغلقة في هذا المقطع (٢٥٢ — في الحاشية ١و٢و٣و٤و٥و٦و٧) : « بجاظر : سريانية بمعنى مجارٍ اومسابق . يباشر : اي يعانيه او يصاب به . اختباط : اي الاضطراب والهيجان وهي هنا بمعنى عصف الرياح وعجيجها وفي ذلك اشارة الى ما كان يتحمل المسافر من المصاعب والاخطار لذلك العهد . تخاطر : على الصيغة السريانية، ساقته اليها القافية ، وفصيحها خاطر بنفسه اي ألقى بهـا الى التهلكة . طفاح : عامية بمعنى فائض أو متراكم . تنشقت : نشقه وقـف عليه او انتهى اليه . الخبار : الخبر .

(**) عثرت في مجلة «المنارة» على مقالة للاب حرفوش (١ (١٩٣٠) : ٨٩٧ — ٩١٠) علق على بعض جملها ما يأتي (٨٩٧ — ٨٩٨، في الحاشية) : « ومن مدة اهتدينا الى محل اشلوح وهي المدعوة اليوم : شلوح ، في بلاد عكار » . وقال (ص ٨٩٧ — في الحاشية) . « وهذه الزجلية — يعني زجلية الاشلوحي — عثر عليها الاستاذ الروماني الشهير اغناطيوس غويدي I. Guidi في مخطوط المكتبة الواتيكانية تحت عدد ٢١٤ و٢٣١ الا انه نسبها غلطاً لابن القلاعي ونشرها في المجموع الذى خصه المستشرقون بيوبيل العلامة الاسباني كوديرا في الصفحات ٣٤٢ — ٣٤٨ فتعقبه استاذنا المرحوم الاب لويس شيخو في المشرق لسنتها ١٥ سنة ١٩١٢ ص ٣١٩ فان الناظم صرح باسمه فيها بقوله :

قايلهـا شـاعر اشلوح مسكنه مشهور بين الورى اسمه سليمان »

الى ان يقول (٨٩٨ — في الحاشية) : « ومخطوط الفاتيكان يحتوي على زجليات لابن القلاعي حقيقة ولكن هذه الزجلية ليست له فتنبه .

فهو مما تسامع به الناس ، وليس فيه لليقين كبير غناء . وهذا البيت ، ايضاً ، من منظوم قدماء اللبنـانيين ، في تقليد انشودة سريانية ، ينغم بها في بعض الصلوات المارونية لعهدنا .

وعن والدي ان اقدم ما جاءنا من الزجالين في لبنان ، مما هو من عروض المعنّى الجـارية ، اليوم ، هذه القطعة الاتية ، وهي لزجّال ، من جنوبي لبنان ، مجهول الاسم ، قال :

صحت الوحي من صاحبي يهل الوحي
تاجرت معو متـل مـا تاجر جحي
بينص قلبك كنت قطّاب مستريح
وصفصاف قلبك كان تاكي ومستحي

قال والدي : ويرجح كون قائل هذه القطعة من جنوبي لبنان، أي من الشوف ، قوله فيها « قطاب » — بمعنى قط الظرفية — فهو من كلام أهل الجنوب .

تاريخ الحوربة

وتحت الحدا : « الحوربة » ، وكان يقال لها : « الهوبَرَة »، من « ياهوبَر » القيسية . وقد جاء في « تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني » للمعلوف (ص ٤٩ — في الحاشية) ، ينقل من «تاريخ الشيخ شيبان الخازن ، المخطوط ، في مكتبة بكركي(*) » : «لان في حكومة سيف الدين جار على القيسية حتى انه حرمهم قولة الهوبر في آخر الرويد بعدما كانوا يستعملونهـا اليمنية بقولة يا لمعروف » . أقول : ان كلمة « يا لهوبر » ، أو كلمة « يا لمعروف »، كان كل واحدة منها يقال في آخر الحوربة ، بدل مـا يقال فيه ، اليوم : « لعيون فلان لعيونو » أو « محبة بفلان » ، لا ان الكلمة منها كانت تقال وحدها في آخر الرويد، كما يُفهم من كلام المؤلف . و « الهوبر » هو السوسن ، او الاحمر منه . فكأن القيسيين بقولهم « يا لهَوبَر » كانوا ينتخون باحمرار راياتهم ، فقد جاء في « تأريخ الامير فخر الدين المعني الثاني » المذكور ، (٥٥ — ٥٦) : « وله — يعني للحزب القيسي — علم خاص احمر اللون وشارته قرنفلة حمراء » . وبين القرنفل الاحمر والسوسن الاحمر ، كما لا يخفى ، وجه من المناسبة . فان العامة ربما سمت الشيء باسم غيره ، اذا كان معه ، أو من شاكلته . أو كأنهم كانوا ينتخون بنعة ذمارهم ،

(*) ذكر الاستاذ المعلوف في مجلة « النعمة » (١ (١٩٠٩) : ٢٤٤) ان مولف هذا الكتاب قد وضعه في سنة ١٨٢١ . وفي مقالة للاب شبلي في مجلة « المشرق » (٢٥ (١٩٢٧) : ٨٥٧) ان المولف المذكور توفي سنة ١٨٧٣ .

فقد جاء في « مجمع الامثال » للميداني (١ : ٧٠ – من طبعة البهية) : « ان دون الطامة خرط قتاد هَوبَر » . وقال في شرح هذا المثل : « الطامة الخبزة تجعل في الملة وهي الرماد الحار ، وهوبر مكـان كثير القتاد ، يضرب للشيء الممتنع » . أما « يا لمعروف » اليمنية فهي مردودة الى المعروف ، وهو الاحسان ، فكأن اليمنيين كانوا يتنخون باصطناع المعروف . و « الحوربة » بيتان ، تكون القافية في عجزيها واحدة ، على أن تأتي قولة : «يا واو» في عروض البيتين . و « يا واو » ، هذه ، أصلها : « يا واه » من « يا » التي للتنبيه ، و « واه » وهي كلمة تعجب من طيب الشيء ، فبُدِّل حرف الهاء لغيره ، وازيلت الكلمة عن جهتها . وتنهى الحوربـة بقولهم : « لعيون فلان – أي انهم يذكرون هنا اسم من تقال له – لعيونو» ، او بقولهم : « محبة بفلان » . يريدون كرامة لعيني فلان ، وحباً لفلان . وهي ، في الغالب ، يُغنّى بها بعد الحدا . وتحتها فنّان : « عادي » و « مرصود » .

الزلاغيط

ومن تلك الطرائق ، ايضاً : « الزلاغيط » ، وهي الزغاريد ، لاذكاء الحماسة ، وقد تخصصت بها النسآء ، دون الرجال . واحدتها : « زلغوطة » ، ويقال قبل كل مصراع منها : « إيهَ » ، الفصيحة ، وهو أمر بالسكوت والكف . فكأن القائلة ، هنـا ، تقول لصاحبتها : « اسكتي انت ، وكفي عن الغناء ، حتى أقول انا واغني » . أو يقال : « آويه » أو « آويها » ، من وَيْهَ ووَيْهٍ وويْها ، اللاتي للاغرآء والتحريض والاستحثاث . وتُنهى بقولة « لو لو ولي » . فكأن القائلة ، هنا ، تقول : « ان ذلك الاغراء (أو التحريض ، أو الاستحثاث) هو له (أي للسامع) ولي » . والزلغوطة بيتان ، تكون القافية في مصاريعها الاربعة واحدة . والزلاغيط على فنين : « عادي » و « مرصود » .

الندب

ومنها « الندب » لتعديد محاسن الميت في المآتم ، وهو مشترك بين الرجال والنسآء . واحدته : « ندبة » ، وطريقته الجارية : جعل القافية فيه على طريقة المعنّى . ومنهم من يجري قافية واحدة في جميع صدوره ، وقافية واحدة في جميع أعجازه . وهو عـلى أربعة فنون : « عادي » و « مرصود » و « قصير » و « طويل » .

العتابا والميجنا وابو الزلف

ويدخل ، ايضاً تحت الزجل هذه الطرائق العامية ، القديمة ، التي يُنظر فيها الى النظم ، لا الى النغم ، والتي بذلك تخرج من باب الاغاني . وهي : « العتابا » و « الميجنا » و « أبو الزُلُف » . والعتابا ، ويقال لها ، ايضاً : « الجبُوريّة » ، نسبة الى قبيلة الجبور البدوية ، من تعتّب القوم ، أي تواصفوا الموجدة ، أو تخـاطبوا الادلال . وهي بدوية المنبت . قال ويل في « دائرة المعـارف الاسلامية» الفرنسية ما معربه (١ : ٤٧٥) : «مهد العتابا الصحراء» . وقال : « انها – يعني العتابا – منتشرة اليوم في سورية وفلسطين والجزيرة » . وهي من بيتين تكون فيها القافية ، في عَروض الاول ، وضربه ، وفي عروض الثاني ، من الجناس المحرّف[1] وتنطاق في ضرب البيت الثاني ، على أن تنتهي بقافية من الباء ، على قياس : « مَفَاع » ، أو « مفع » ، أو من الالف المطلقة ، أو اليآء المرسلة ، على قياس : « فَعُو » . وقد قال ويل في المعلمة المذكورة ما معرّبه موجزاً (١ : ٤٧٥) : « ويقل في المصراع الاخير من العتابا التقفية بلفظ آخره : (يا[2]) » – أي يقل ، هناك ، الانتهاء بقافية من الالف المطلقة والياء المرسلة . وتسمى القطعة من العتابا : « بيت عتابا » ، على انها مؤلفة من بيتين ، كما رأيت . والعتابا تحتها فنون أربعة : «عادي» و « مُهمَل» و«منقّط» و « موصول » وهو الذي تكون القافية ، في عَروض البيت الثاني ، نصفها آخر جزء من صدره ، والنصف الآخر أول جزء من عجزه . وقد ذكر ويل في المعلمة الاسلامية ، المذكورة (١ : ٤٧٥) نوعاً من العتابا اسمه : « لامي » . قال ما معربه : « وهو – يعني اللامي – من تفاريع الوافر » . ونحن في لبنان لا نعرف « اللامي » هذا . وتحت العتابا : « الميجنا » ، أو « الميجانا » ، من قولهم ، في الفصيح : « طريق مُمَجّن » ، أي ممدود ، طويل ، منبسط . فان الميجنا يُغنّى بها ، كما لا يخفى ، بين يدي بيت العتابا ، وذلك ليُطوّل على قوال العتابا فترات الارتجال والراحة . وقد حسب « لوسرف » في « الادب العامي » ، المذكور ، (ص ٥٧) ان الميجنا نوع من العتابا – وهو خطأ ظاهر . وتسمى الميجنا ، ايضاً : « كسرة ميجنا » ، من قولهم ، في العامي : « كسر له » ، يريدون : مهد له .

(البقية على صفحة ٦١)

---

(١) هو الذي تختلف هيئات حروفه اما بالحركات ، واما باللفظ .

(٢) صورتها في الاصل هكذا : ya .

لك الجرح ...
بعث على ميسلون

لصلاح الاسير

لك الجرحُ جلّقُ ... خلي الدماء — عـلى صفحة الدهر بعضَ السطور
غني كمجدك يومُ الكفـاح — سلي الله ... عن عزمك المستطير
وعن كلّ ليث قضى في الظـلام — يودّك فـوق ائتـلاق البدور
لك الجرحُ ... شلت يمين العداة — فمـا انت نهب عـدو مغير
شرعت النهى اين وجـه الوليد — واين الاسـاطيل عرس البحـور
زرعـت سواحلهـم بالسناء — وبالحرف مـن كل فـن منير
وكنت السخية ... لا منة — على الغرب ... كنت دليل الضرير
لك الجرحُ ... بعث على ميسلون — يراود في السفح ذكرى النسور
وصـوت ليوسف رحبُ الدويّ — يزلزل دنيـا جهـاد كبير
براه الفداء فكل صـدى — تراجيعُ اغنية للضمير
وخفق العقـال عـلى الربوتين — ظـلال لفيصل حرّى الهجير
امر عـلى عرسـك المنقضي — فيعصف بي منك رجع الزئير
حنـانيك جلق مـا تهدأين — والمجد عـاصفة في الصدور
كأنك وحدك ارض الاباة — تبرأت من كلّ عق وزور
حضنت الزمـان وكان الزمـان — طري الخطى مطمئن المصير
اهذا جزاؤك حصد القتـاد — وللنـاس منك برود الحرير ! ..

*

شجـا الحق انك لم تبخـلي — عـلى المعتدين بزاد وفير
وبالدم اطهر من دمعة — الصباح عـلى الورد قبل البكور
ولم تبخلي بالشبـاب الابي — له الطيب في كل روض نضير
شبابـك للمجد للتضحيـات — – غداة الوغى – في براح الكرور
جمـاجمهم فوق قرص الشروق — هوى البذل لا في دواجي الخفير
أقلهم للمراد البعيد — شراع من الموت حلو الهدير
تصفق في جـانبيه الحيـاة — ويخفق صـاريه للمستجير ...
ابا الغيث ... يا بردى للضفـاف — غنـاؤك ... لا للدخيل الغرير
فمـا انت نهرُ العبيد الاذل — عبيد من البيض هزء العصور
مهرتهم يوم كان الدجى — عـلى ارضهم بالشعـاع الغمور
أهذا جزاؤك حصد القتـاد — وللعبد منهم برود الحرير ؟ ...
فقم بردى ... فالتراب استقل — على ضفتيك ... وسر للنشور ...

القوميـــة تعبير عن الشخصية

■

مهداة الى الاستاذ عبدالله العلايلي

✯

ارادة الحياة غريزية في الفرد ، والفرد لا يكون حقيقة واقعة في المجتمع ، الا اذا اراد الحيـاة ارادة عقلية واعية ، الى جانب ارادته الغريزية لها . وهذان النوعان من ارادة الحياة يؤديان بصورة حتمية الى ارادة جديدة هي ارادة القوة . فالارادة الغريزية تدفع في الدرجة الاولى الى المحـافظة على الكيان العضوي ، اي الى تقويته بصورة مستمرة ضد عوامل الفناء ، بينما الارادة العقلية الواعية تدفع هي ايضاً في الدرجة الاولى الى السمو النفسي ، اي الى تقوية الروح والسعي للتكامل الذاتي .

اذن فارادة الحياة ارادة عقلية واعية ، الى جانب ارادتها ارادة غريزية ، انما تسعى الى تثبيت نفسها عن طريق ارادة القوة المادية والمعنوية .

وتسامي ارادة الحياة في الفرد ، لا يقف عند حد ارادة القوة . بل يتخطاها بالسعي الى التجرد من نطاق الزمان والمكان ، اي بالسعي الى البقاء الدائم او ارادة الخلود .

والافراد لا يخلدون الا بخلود الامة ، اي ان ارادة الخلود عندهم لا تتحقق الا بخلود الامة .

وخلود الامة لا يكون الا بخلود نتاجها المعبر عن شخصيتهـا من فلسفات وديانات وفنون وآداب وعلوم ، اي بخلود الحضارة او الحضارات التي حققتها هذه الامة وحملت طابعها في كل مرحلة من مراحل حياتها ، بين مجموعة حضارات الامم الاخرى التي تشكل مجتمعة ، التاريخ العام الذي هو بحق التراث الانساني ومحصول البشرية جمعاء .

وانتاج الامة هو دائماً ثمرة من خلق افرادها المنتجين لا المستهلكين اي الافراد الحضاريين لا الافراد المدنيين ، اذا رمنا اقتباساً من تعابير اشبنجلر .

فالحضارة هي خلود الامة في صدر التاريخ ، وهذا الخلود لا يتم الا اذا عبرت هذه الحضارة اصدق التعبير عن شخصية الامة العميقة ، وحملت اسمها وطابعها .

فلكل شخصية طابع ، فرداً كانت هذه الشخصية ام أمة ، وهذا الطابع هو السمة الدالة على هذه الشخصية ، تعرف به أنى وجدت ، وأنى تركت آثارها .

وشخصية الامة لا تستقيم ولا يستقر طابعهـا الا اذا كانت كلًا واحداً ، وكتلة حية منسجمة لا نبو فيها ولا نشوز ، أي اذا كانت امة باعمق ما في كلمة امة من المعنى .

فالامة المتعـددة الاجنـاس واللغات والتقاليد ليست امة ، او هي امة ولكن نسيج وحدهـا ،

سيدي

نحن احوج ما نحتاج ، الى فكرة جامعة ، منا الى أي شيء آخر . وهذه الفكرة احوج ما تحتاج ، الى كتّاب واقلام تعمل على نشرها . والكتّاب والاقلام احوج ما تحتاج الى مجلة تعبر فيها عن الفكرة الجامعة ، وكل هذا قد توفر في مجلتكم الغراء .

الفكرة الجامعة ، هي القومية العربية ، والكتّاب هم الذين يساهمون في تحرير ومراسلة مجلتكم التي يمكنني ان اعتبرها المعبر عن الفكرة التي اشرت اليها .

وانا اذ بعثت اليكم بمقالي : القومية تعبير عن الشخصية لم ارد الا ان اساهم بنشر تلك الفكرة الجامعة بما عنّ لي من الآراء بصددها ، هذه الآراء التي ليست سوى استجابة وصدى لما اثارته في نفسي مقالات الاستاذين العلايلي وزخريا خاصة وبقية ادباء الاديب عامة .

وانا لم اشر الى اسمي الصريح في مقـالي ، او اني لم اوقعه الا باسم ابن الصيدلاني ، نعم انـا لم افعل ذلك الا لاعتقادي بان الكاتب ليس بذي قيمة الى جانب الفكرة التي يدعو لها ، فهي الاصل وهو الفرع ، او قل هي الاصل فقط ، ولا تشر اليه ابداً .

ولقد فوجئت وارتبكت ، عندما طلبتم اسمي الصريح وانا لم اكن لاتوقع ذلك . ولكم وددت ولا ازال اود ان لا تتفضلوا بالاشارة الى اسمي ، اذا تفضلتم بنشر مقالتي ودم واسلم سيدي للاديب التي هي مجلتنا ومجلة الجيل العربي الواعي الجديد .

حمص - ابن الصيدلاني

ج ف ش

الاديب : نحتفظ باسم صاحب المقال الصريح بناء على رغبته المتكررة . .

وليس لشخصيتها من طابع لانه ليست لها شخصية ، او ان لها طابعاً مشوهاً لا يعبر عن اي عنصر او جنس من العناصر والاجناس المشكلة لها والتي تساهم في تكوينها ، وقل الامر نفسه في الامم المجتمعة التي تشكل وتساهم في حضارة واحدة .

اذن فانسجام الامة وتجانسها وانصهارها في قالب واحد ، او بمعنى آخر «القومية الصحيحة» ضرورة حيوية لتكوين الطابع الذي يمثل شخصية الامة التي يحقق افرادها ارادتهم في الحياة والقوة والخلود ، عن طريق خلودها الذي يكون بخلود مجموع نتاجها ! وبالاحرى حضارتها التي انتجتها والتي تحمل طابعها المعبر عن شخصيتها .

*

فالاسلام اكبر حضارة حققها العرب ، وهو اصدق تعبير عن ارادة الخلود في نفوسهم ، في تلك المرحلة الحاسمة من مراحل تطور الامة العربية .

والعرب قبل الاسلام ، ارادوا الحياة ارادة عقلية واعية ، اي ارادة قوة وخلود ، فأنتجوا حضارات مختلفة ، الا ان هذه الارادة العقلية الواعية للحياة لم تتجل في اروع مظاهرها الا في الاسلام .

فالقرآن ارادة حياة في العرب ، لانه تنظيم للمجتمع العربي ، واطلاع للفرد العربي على قيمته وشخصيته لانه حث له على اداء رسالة وتحقيق هدف في الحياة .

وهو ارادة قوة لانه دعوة الى التكتل والوحدة والانسجام التي هي سر قوة الامم ، وتوحيد للهجات العرب وعاداتهم وتقاليدهم .

وهو ارادة خلود لانه محاولة شاملة في فرض نظم المجتمع العربي وحاجاته في زمن معين ، على سائر المجتمعات البشرية في كل زمان، اذن فهو بنصه المحاولة العربية الكبرى في الخلود .

اما الحضارة التي كانت ثمرة لانتشار الاسلام ، فهي المحاولة الثانية في التعبير عن ارادة الخلود عند العرب، لانهم انتجوها وطبعوها بطابع حي من لغتهم ودينهم وتفكيرهم

اما شمول الاسلام لغير العربي ، فليس سوى نتيجة عميقة لتلك الارادة الماضية في الخلود ، غير انه قد افسح المجال للعقلية الاجنبية ان تدس شيئاً من نتاجها في هذه الحضارة العربية ، رغم أنها كانت تكتب وتتكلم بلغة العرب .

ولقد كان من أثر ذلك الدس ، ان أصبح العرب في كل يوم يسمعون دعاة الشعوبية ينادون بأن الحضارة الاسلامية ليست عربية .

وهذا لغو باطل ، لان العقلية الاعجمية ، رغم تدخلها فيها ، لم تحل بين الامة العربية وبين التعبير عن شخصيتها في الطابع الذي طبعت به هذه الحضارة .

فلغة هذه الحضارة هي العربية ، واكثر مادتها عربي كالاسلام نفسه وكثير من الفنون الاخرى،اما المنتجون انفسهم لهذه الحضارة فأكثرهم من العرب .

*

والعرب في وضعهم الحالي، اشبه شيء بهم قبل ظهور الاسلام بقليل . فهم قلقون متفرقون ، لا يهدأ اضطرابهم ولا يجمعهم جامع اما شخصيتهم فسائرة في طريق التكامل والنضوج الحي .

وهم احوج ما يحتاجون الى دستور قومي ينبعث من ضمنهم الى ظاهرهم ليصهرهم في كتلة واحدة كما فعل القرآن بالعرب من قبل ، فحولهم الى كيان عضوي واحد يعمل بعفوية تامة وشعور سليم دون تردد او ابطاء ، لان الشخصية اذا كانت متكاملة ناضجة ، فلا تخضع افعالها الى المحاكيات الذهنية الجامدة بل تعمل بوحي من الفطرة والشعور العفوي .

وعلى هذا الدستور ان ينفي عنهم العناصر الغريبة كل الغرابة كما يلفظ البحر الهائج ما في جوفه ، ويزيل كل من لم يمت اليهم بصلة او نسب ، فيبعثون بذلك قومية مهيأة الاسباب تعبر عن شخصيتهم اصدق التعبير .

وهم بحاجة ايضاً الى الايمان الحي بالحياة والخلود، ذلك الايمان المنصهر في النفس التي لا تتجزأ ، والذي يدفعهم الى ان يمدوا بايديهم الى ثمار التفكير البشري ، ويهضموا ما يستسيغون منه ومما يفد عليهم من حضارة الغرب الفاوستية كما يقول اشبنجلر ، ويحيلوه الى جزء منهم فلا يصبح غريباً عنهم لانه حاجة من حاجاتهم .

ثم تنطلق النفس بعدها على سجيتها، فتنتج للتاريخ العام حضارة جديدة وليدة عقليتهم وعواطفهم، وبذلك يكونون قد أدوا رسالة اخرى لا تعبر عن غير شخصيتهم لانه لم تشبها شائبة من غيرهم ، فيخلدون في هذه المرحلة الجديدة من حياتهم كما خلدوا من قبل .

حمص ابن الصيدلاني

فتياتنا والجامعة المصرية

بقلم
عبد العزيز احمد
مدير كلية فاروق ببيروت
المنتدب من وزارة المعارف
المصرية

نشرت مجلة الاديب في عدد أيار مقالا للاستاذ الجليل احمد بك امين عن المرأة العربية جاء فيه « حين عينت مدرساً بكلية الاداب (سنة ١٩٢٦) تساءلت : هل اعيش حتى ارى مصرية تحضر دروسي في الجامعة ، وكان الامر اسرع مما كنت اتوقع » ..

فمتى كان اول عهد الفتاة المصرية بالجامعة ؟ وكيف تم انتسابها فشاركت الشبان في الدرس والمحاضرة وسارت في الطريق المرسوم حتى اوفت على الغاية ؟

لقد اتيح لي وانا مدرس بكلية الآداب بجامعة فؤاد الاول ان اشهد مطلع ذلك العهد وارقبه عن كثب في مراحله الاولى واتبين فيه صوراً قد لا تخلو من طرافة وبعضها جدير بالتسجيل ...

في أواخر صيف سنة ١٩٣٠ — على ما اذكر — كانت كلية الآداب تستعد للعام الجديد وتستقبل الطلاب الوافدين لقيد اسمائهم ، مزهوين بانهم سيصبحون بعد قليل طلاباً جامعيين .. !!

أهل على الكلية يوم ذاك ثلاث فتيات يمشين على استحياء وتكاد تدفع كل واحدة اختها امامها لتكون دريئة لها ... سألت احداهن في صوت خافت : أين (السكرتارية) ؟ فلما ارشدن اليها أبدين رغبة الانتساب الى الكلية لو كان ذلك مباحاً لهن .. ادركت المسجل حيرة ، فهذه مشكلة طارئة ، لا بد من عرض امرها على حضرة القائم باعمال العميد وقتئذ ، الاستاذ الكبير الدكتور طه حسين (بك) وبذلك تحولن من مكتب الى آخر ومن مرءوس الى رئيس .

اخذتهن رهبة المكان وجلال الجامعة ، وتجاذبهن أمل قوي يدفعهن الى الاقدام ، واشفاق من عدم التوفيق في السعي .!! أوليس في طلبهن الانتساب وفي قبولهن في الكلية مخالفة للتقاليد ؟ فمن الجائز بل من المعقول ان يكون نصيبهن الفشل ...

لعل هذه الخواطر مجتمعة كادت تعقل السنتهن عن الكلام .

ولكن نائب العميد رد عليهن هدوءهن ببشاشته وحسن استقباله حتى تكلمن .. فعرضن في احتياط رغبتهن او امنيتهن لو لم يكن هناك ما يحول دون تحقيقها ...

فاجاب الدكتور طه : واي شيء يحول ؟ ذلك حق لكن كبقية الطلاب وليس في قوانين الجامعة ما يمنع ... وسأعمل على تذليل اي صعوبة قد تعترضكن في المستقبل .. فأشرق محياهن عند ذاك وتبسطن في الحديث . ثم سألهن الدكتور :

— والآن .. اي الاقسام ترغبن في الانتساب اليه ؟

— اقسام !! ؟ نريد ان نكون طالبات في الكلية ، فما الاقسام هذه ؟

لقد كن يجهلن كل شيء الا ذلك الاسم البراق يحدوهن الامل الخلاب ..

— طبعاً سيجاب طلبكن ولكن عليكن اختيار قسم من اقسام التخصص ، كل واحدة على حسب استعدادها وميلها الخاص .. فعندنا قسم لدراسة اللغة العربية وأدبها واللغات الشرقية يدرس فيه ...

لا ، لا نريد هذا القسم فلا نحب دروس القواعد .. نكره النحو والصرف ..

فتبسم الدكتور وقال : وهناك قسم للتاريخ وآخر للجغرافية وهما معروفان بالطبع ...

ولكن .. لا نحب رسم الخرائط .. !!

اذاً عليكن بقسم اللغات الحية للتخصص في اللغات الفرنسية والانجليزية و ...

اللغات ... اليس هناك قسم آخر ؟

بقي قسمان آخران ، اما احدهما فلا اظنكن ترتحن اليه ، لان من لا يريد اللغات الحية لا يفكر في اللغات الميتة . هذا هو قسم الدراسات القديمة (اللاتينية واليونانية) .

لغات قديمة .. لاتيني .. ويوناني ايضاً .. صحيح ..
وما لنا ولهذا القسم !!

فضحك الدكتور وقال: بقي قسم واحد . هو قسم الفلسفة .
فلسفة ؟ وما هذا ايضاً ؟ (لم تكن دراسة مبادىء الفلسفة قد قررت عليهن في التعليم الثانوي بعد)
قسم الفلسفة يدرس فيه ...

فارتسم على وجوههن امارات ربما كانت مزيج العجب والاعجاب والابتهاج ايضاً .. !! لقد بهرهن الاسم من غير شك ، فعندهن فكرة واضحة عن دراسات كل قسم الا هذا القسم بعلومه فصورته مبهمة ومعناه غامض ثم انه اسم يحيط به هالة من الروعة والجلال ..

ولعلهن تذكرن اسماء قرأنها عرضاً في الكتب او جرت على بعض الالسنة .. ومن لم يسمع بسقراط وافلاطون وارسطو . مثلاً ؟ ثم الا ترى الكثير منا اذا تحدث بعض الناس فاغرب او ناقش فا كثر يقال له « بلاش فلسفة » وربما قيلت لغير مناسبة واضحة . فلا عليهن اذا استخرن الله واقتحمن ذلك المجهول يكشفن عنه الحجب .. ويتفلسفن مع المتفلسفين فكان الجواب : طيب ندخل قسم الفلسفة .. !!

وهكذا تم التحاقهن بهذا القسم لا لشيء الا لغرابة اسمه وموضوعه عليهن . كن اربعة نجحن في امتحان (البكالوريا) من مدرسة الاميرة فوزية الثانوية وتضامن في الانتساب الى هذا القسم . ثم فتاة خامسة تقدمت في شجاعة واقدام تطلب الانتساب أيضاً .

لم تتم الدراسة الثانوية بالمدارس المصرية فقد تعلمت في المدرسة الانجليزية .. لم تتردد في اختيار القسم الذي ترغب فيه فقد كانت تعرف ما تريد ...

ولشد ما كانت دهشة الدكتور طه واعجابه معاً حين سمعها تختار ... تختار قسم اللغة العربية . !!

ولكن يا آنسة .. فيه الى جانب دروس الادب نحو وصرف وهما ابغض الاشياء الى الشبان فكيف بالفتيات ؟ وفيه .. وربما كانت الدراسة فيه اشق .. خصوصاً على من تعلم في المدارس الاجنبية .

اجابت في غير تردد : لا بأس ، فانا احب الادب العربي ولا اكره ان ادرس كل ما يمت اليه بسبب او يعين على فهمه .. وبذلك دخلت وحدها قسم اللغة العربية ، فاصبحن خمساً هن اول فوج دخل كلية الآداب .

يسرت لهن كل الوسائل وذللت امامهن العقبات واحطن بكثير من الرعاية في هذا الدور من ادوار الانتقال فافردت لهن حجرة خاصة يسترحن فيها بعد الدرس ، واختيرت لهن مشرفة تعينهن وترعاهن . استقبلت الجامعة عهداً جديداً اثار شيئاً من الجدل والمناقشة بين الموافقين والمخالفين ، والراضين والكارهين . . ولكن الامور سارت في طريقها هينة ولم يحدث ما اشفق منه الخائفون او احجم بسببه المترددون .

بدأ العام الدراسي وقد انتشر فيه جو غريب : في حرم الجامعة وردهات الكلية وفي قاعات الدرس ..

فقد فوجىء الطلاب لاول مرة برؤية فتيات بينهم . فأخذوا يتطلعون ويتهامسون ولا يفصحون ، ويرقبون ولا يتحركون .. والفتيات يشعرن بنظرات الاستطلاع تصوب اليهن انى اتجهن فينكمشن على انفسهن ويضطربن في مشيتهن وتستحي كل واحدة ان تسير منفردة . ولعلهن كن يتواعدن في المدينة ليركبن ترام الجيزة معاً وليتعاون على قطع طريق الجامعة الطويل متآزرات فذلك ادنى الى الامن والسلامة !! وما يكدن يفترقن في الكلية او عند الدخول الى قاعات الدرس . لقد كن ينتظرن مقدم الاستاذ فيتبعنه لاحتلال مقاعد الصف الاول بعد ان جلا الطلاب عنها راضين او كارهين فاصبحت وقفاً عليهن ..

فكان هذا اول تراجع من الشباب امام هذا الغزو الجديد غير المنتظر . ولكنهم تراجعوا على كل حال طبقاً للخطة المرسومة ..
ثم ماذا ؟ اخذ كل شيء يتغير في المظهر والحركات والحديث ، وجد نشاط غريب وانتباه شديد واحتراس اشد وتنافس يستحق الاعجاب . فالطلاب ، او كثرتهم ، زاد حرصهم على التأنق في ملبسهم وحاولوا التأنق في عبارتهم والتظرف في حديثهم والتفنن في الاسئلة والمناقشة مما كان يثير الرضى والسخط معاً ..

واصبح الاستاذ يشعر بشيء من الحرج ان كان موضوع حديثه يتصل بالمرأة من قريب او بعيد فان كان درسه في الادب وحديثه عن الغزل مثلاً اصطنع الحيطة في التعبير ولجأ الى التلميح دون التصريح واغنته الاشارة البعيدة عما كان يعرض له من قبل بالبسط والتفصيل ، يطوي الاستاذ ذلك كله على الرغم من شدة حرص الطلاب على استيعاب الموضوع بدقائقه وتفصيله حباً في العلم ... وايثاراً للتزود من المعرفة .. معرفة اثر هذا الحديث في نفوس البعض وانعكاسه على وجوههم .. او وجوههن ...

ولعل الاستاذ كان يتساءل بل الواقع انه كان يتحدث الى زملائه فيما يصح وما لا يصح وما يقال وما لا يقال وكانت مناقشة وضرب امثال ، واذا جاز للطبيب ان يشرح الاجسام وان يشاركه

الطلبة والطالبات افلا يصح ان تدرس الآثار الادبية والفنية على هذا النحو من التحليل والتشريح !

وربما كان البعض يتمنى ان يخلو درسه من الطالبات ليريح ويستريح على حين كان يحسد بعضهم ذلك القسم الذي اشرقت عليه طلعتهن فبددت ما فيه من وحشة .

وعلى كل حال فقد اخذ الاستاذ الذي سعد او رزىء بطالبات في درسه يتخير عبارته ويحتاط في تعبيره ويسلك في كل ذلك سبيلا مأمونة لا حرج فيها ولا احراج، غير انه قد واجهته مشكلة اخرى من نوع جديد .. هي الواجبات التي تفرض على الطلاب والابحاث التي يطلب اليهم اعدادها والقاؤها في قاعة الدرس .

لقد كانت الامور تجري في يسر وهدوء في قاعة المحاضرات العامة ، يستمع الطلاب الى المحاضرة ويدونون ما يبدو لهم .. وكفى الله المؤمنين القتال .. اما الدروس التمرينية فهي التي كانت تكثر فيها المناقشة والجدل .

يطلب الاستاذ الى الطالبة (اسوة بزميلها الطالب) اعداد بحث او دراسة موضوع لالقائه على الزملاء .. فيسود صمت عميق .. تشرئب فيه اعناق الطلاب ليستمعوا للجواب ، وكلهم آذان مرهفة حتى للهمس الخفي فلا يكادون يسمعون شيئاً ، ويبدو على الطالبة الاضطراب والتردد والحياء .. مما يبهج الطلاب ويرضيهم ويسوء الفتاة ويؤذيها فهي من اجل ذلك تنزل عن كل حق لها في مناقشة او سؤال وتكتفي بحضورها في قاعة الدرس للتسجيل او كما يحدث في المؤتمرات احياناً .. كانت تحضر بصفتها مستمعة فقط ! !

ما يكاد الدرس ينتهي حتى تسرع الى استاذها ترجوه ان يعفيها من الحديث وهو يأبى فتلح في الرجاء فلا يقبل .. فتبدي استعدادها بل حرصها على كتابة البحث وتقديمه اليه دون قراءته .

وربما اعفاها من الكلام مرة او مرتين .. او ارجأها الى فرصة اخرى ولكنه لا ينسى ان عليها واجباً لا بد من ادائه ، فيعود اليها من جديد في اصرار .. واخيراً .. ومع تقدم الزمن بعض الشيء والف الجو تستجمع شجاعتها لتتحدث .

وفي الحق انها كانت تؤدي واجبها على خير ما ينبغي وتبذل في اعداد موضوعها من الجهد والعناية فوق ما يبذل الطلاب احياناً ، فتظفر بالاعجاب والتقدير .

عند ذلك تشعر بشيء من الاعتزاز بالنفس ويعاودها الاطمئنان والهدوء فترغب في اظهار شخصيتها بعض الظهور ، فهي لم تر من زملائها — على عكس ما كانت تتوهم — الا خيراً ولم تلق من اساتذتها الا كل تشجيع ... تشجيع على ان تنسى انها فتاة بين شبان وان تذكر انها طالبة بين الطلبة لها حقوقهم وعليها واجباتهم .

ما كاد العام الدراسي يتقدم حتى اتضح السبيل للطالبات وعلمن من شأن الاقسام وانواع الدراسات ما كان غامضاً وظهر بشكل اوضح ميلهن الحقيقي الى دراسات معينة ترغب البعض في الانتقال من قسم الى آخر بل ان واحدة طمعت في الانتقال الى الكلية المجاورة (كلية الحقوق) فثار حول قبولها اعتراض ما لبث ان ذلل فكانت الطالبة الوحيدة بين المئات الكثيرة . وسارت في طريقها الى النهاية فكانت اول محامية مصرية امام المحاكم الاهلية ثم سافرت في بعثة للتخصص في الدراسات الاجتماعية فعادت الدكتورة نعيمة الايوبي .. تؤدي رسالة المرأة بوزارة الشؤون الاجتماعية .

وطالبة ثانية تحولت الى قسم الدراسات القديمة فاحتملت مشقة بعث لغاته الميتة من مرقدها بصبر وجلد حتى نجحت في « الليسانس والماجستير » فاصبحت الآنسة فاطمة سالم مدرسة للغة اللاتينية بكلية الآداب بجامعة فاروق .

واما طالبتا قسم الفلسفة فقد استمرتا في دراستها بهذا القسم حتى نجحتا في الليسانس فعينت (الآنسة) زهير عبد العزيز (والآنسة) فاطمة فهمي رحمهما الله مدرستين بالمدارس الثانوية للبنات .

كذلك سارت طالبة قسم اللغة العربية في طريقها حتى اجتازت مراحله جميعها فنجحت في الليسانس والماجستير وعينت في الكلية ثم سافرت في بعثة عادت بعدها الى مصر وتقدمت لدرجة الدكتوراه فكانت الدكتورة سهير القلماوي المدرسة بكلية الآداب أول فتاة منحت هذه الدرجة من جامعة فؤاد الاول .

وفي اثناء ذلك تعاقبت الموجات على كلية الاداب والكليات الاخرى فكانت صغيرة هادئة اول الامر ثم قويت واشتدت بزيادة الافواج المتقدمة وكثرة عددها . (من مصر وغيرها) وكلما دخل فوج انس بمن تقدمه واطمأن الى جنسه فكانت سبيله ايسر من غيره وهدوؤه اكثر من سابقه ، فسهل عليهن كل صعب وألفن سريعاً هذا الجو الجديد ، فشاركن فيما يشارك فيه الطلاب من اوجه النشاط الجامعي : علمية او اجتماعية او غيرها واصبحت ترى فتاتنا خطيبة ومناظرة ومحاضرة ... في غير تهيب ولا حرج .

لقد كن جميعاً مثال الفتيات المجدات فحققن الامل وصدق فيهن الرجاء .

القاهرة — عبد العزيز احمد

لبنان

والتعاون الاقتصادي العربي

☆

بقلم محمد جميل بيهم
رئيس اتحاد الاحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية

ألقى أحد انصار العزلة في لبنان محاضرة باللغة الافرنسية من محطة اذاعة الشرق في بيروت عالج فيها موضوع تعاون العرب في الناحية الاقتصادية ، فانتهى به البحث الى التداول عما اذا كانت مصلحة العروبة تتطلب افقار لبنان ودماره !

ولماذا ? لان المحاضر اوجس خيفة على صناعات لبنان من جراء التكتل العربي ومزاحمة مصنوعات سوريا وفلسطين .

وهو على حق من حيث الخطر الصهيوني . وهذا لا يقتصر على لبنان ، بل يشمل سائر البلاد العربية ، ولا ريب ان الجامعة العربية التي تمثل هذه البلاد ستعالج امره وتضع متفقة حداً له .

اما الخطر الذي يتأتى عن سوريا فهذا ما نود التعليق عليه .

بنى المحاضر خوفه على اساس وجود اختلاف شديد بين مستوى العمال الاجتماعي في سورية وبين مستواهم في لبنان ، وخلص من ذلك الى القول بان هذا الاختـلاف يبدو في فرق الاجور وفرق ساعات العمل ، وفرق الثمن ، ثم انتهى الى التصريح بان الانتاج الصناعي في سوريا يكلف من ثلاثين الى اربعين في المئة ادنى مما يكلفه في لبنان .

والواقع ان اجور العمال في سوريا لم تعد تنقص في الجملة عن امثالها في لبنان ، بل تزيد احياناً هناك كما تزيد احياناً هنا . وقد لاحظت ان اجور الفلاحين أصبحت في ضواحي دمشق ارفع مستوى من امثالها في لبنان . وبنسبة الارتفاع الذي حصل في هذه الاجور تعالت أجور سائر العمال لان الناحية الزراعية هي اصل في تقرير مستوى الاسعار فضلاً عن ان سوريا هي على الاغلب بلد زراعي .

وان غلاء الاثمان وسع دائرة الاعمال في المناطق الزراعية ، بحيث اصبحت اليد العاملة على وجه عام عزيزة وغالية .

واذا فرضنا ان هذا الوضع استثنائي بسبب الحرب ، وسلمنا بان اجور اليد العاملة الصناعية ستختلف من بعد بين الساحل والداخل في بلاد الشام فلا سبيل للتسليم بأن الفرق بينهما بلغ في وقت من الاوقــات او يبلغ ٣٠ الى ٤٠ في المئة . والذي نعرفه ان اجور اليد العاملة الصناعية في سوريا كانت قبل الحرب اما متعادلة مع الاجور في لبنان واما ادنى منها بنحو ١٠ الى ١٥ في المئة . واكبر برهان على ان هذه الفوارق لا تؤثر البتة على لبنان قيام معــامل لصناعات متماثلة في الساحل والداخل كان مصيرها واحداً . ففي الجانبين معامل للكنسرفا والسمنتو والغزل والحياكة والكبريت والحدادة وحل الحرير وغيرها نجحت والحمدلله جميعاً دون استثناء

ولم تتأثر صناعات لبنان من قبل ، يوم كان المستوى الاجتماعي بينه وبين سائر البلاد السورية اشد تباينا مما هو عليه الآن .

ولا ريب انه لا يزال في البلدين مجال واسع للعمل في نواح كثيرة ؛ او بتعبير أوضح : نحن مبتدئون ولا يزال المستهلكون في حاجة قصوى لما يمكن ان تصنعه البلاد، خصوصاً بعد ان اصبحت الحكومات في عهد الاستقلال تستطيع باضطلاعها بالتشريع الجمركي حماية منتوجات البلاد .

أضف الى ذلك ان العصر الحاضر هو عصر اختصاص والبيئة والحاجة من شأنها تنظيم المسلك الصناعي في البلدين الشقيقين تنظيماً يؤدي الى التعاون بدلا من المزاحمة .

على انه يجب الاخذ بعين الاعتبار كون الصنائع في سوريا ولبنان لا تزال تعتمد على الصناعات اليدوية اكثر منها على الميكانيكية : فبينما تعد البلاد نحو ٤٠٠ نول ميكانيكي يبلغ عدد الانوال اليدوية اكثر من اربعين الفا ، ومن المعلوم ان أجور الايدي العاملة في الصناعات اليدوية المنتشرة في الارياف والقرى قلما يختلف بعضها عن البعض سواء كانت في ضواحي صيدا وطرابلس ام في ضواحي حلب وحمص . واذا صح وجود تعاون في اسعار منتوجات سوريا عن لبنان فيكاد الفرق يعادل نفقات النقل وما اليه .

ولمناسبة حديث المحاضر عن التباين في المستوى الاجتماعي بين سوريا ولبنان يجب التنويه بأن هذا التباين لا يخلو وجوده في كل البلاد المتعاونة او المتحدة . بل ان ما بين جنوب الولايات المتحدة وشمالها من بون في المستوى الاجتماعي يفوق كل اختلاف بين بلدينا في ديار الشام . ومع ذلك فما منع هذا التباين باميركا من ان تستثمر جميع ولاياتها فوائد الاتحاد بينها ولا ننس ان المناطق الزراعية في لبنان كجبل عامل والبقاع وعكار وحاصبيا وراشيا وبعلبك التي تؤلف الجزء الاوسع من الجمهورية اللبنانية ليست هي على مستوى اجتماعي ارفع من اقضية وادي العجم والقلمون وادلب وحارم وغيرها .

وبعد كل ذلك نحن نود مجاراة الاستاذ المحاضر فنفرض وجود ما ليس بموجود . نفرض أن خطراً يداهم الصناعات اللبنانية اذا ظلت سوريا ولبنان ، مثلما هما عليه الآن ، وحدة اقتصادية وشملها الاتحاد العربي . فهل ترى يكفي الاقتصار على الناحية التي عالجها المحاضر وتوهم وجود الخطر فيها ليصح له التساؤل عما اذا كان من مصلحة العروبة افقار لبنان وخرابه ؟

كلا . ومن ذا الذي ينكر ان المفيد على اطلاقه غير موجود كما ان الضار على الاطلاق معدوم . والذي جرت عليه سنة الكون وجود النفع والضرر في كل شيء من زيادة ونقصـان في عناصر النفع والضرر . واذا كان تعاون لبنان مع البلاد العربية شراً عليه في الناحية الصناعية على رأي المحاضر نجد ان الخير كل الخير له اذا قارنا بين ما يخسره على وجه عام وما يربحه بهذا الاتحاد .

ان لبنان كما انه مؤهل بجباله لان يكون مصيف العالم العربي ومشتاه فقد انتدبته الطبيعة ليكون بمركزه الجغرافي رقبة جسر بين المشرق والمغرب . فلبنان اذن قبل ان يكون زراعياً او صناعياً وقطراً مصدراً هو بمثابة سوق لتجارة العالم ووسيط تجاري . وقد استثمر هذه الميزة يوم لم تكن السياسة مدت يدها اليه وجعلته في قفص من الحوادث الجمركية . والاستاذ المحاضر تعرض في خطابه لتلك الخيرات التي كان يتمتع بها لبنان حين لم تكن بينه وبين جيرانه هذه الحواجز .

وهل من سبيل لعودة ذلك العصر الذهبي الا برفع هذه الحواجز بالاتفاق مع البلاد الشقيقة ، والاتحاد معها في سبيل تذليل مصاعب الحياة .

على ان لهذا البحث وجهاً آخر لا بد من الاشارة اليه . واعني بذلك ان لبنان لو اختار العزلة ضارباً صفحاً عن كل منافع التعاون، وقصده من ذلك حماية صناعته فحسب ، فهل يترقب ان يزاحم بهذه المصنوعات اميركا ام اوروبا ام اليابان ؟ — ان اكثر صادرات لبنان وسوريا قبل الحرب انما كانت تساق الى الامصـار العربية ، وكانت تصدر على الترتيب بنسبة اهميتهـا : فلسطين، العراق ، مصر ، شرق الاردن ، جزيرة العرب . وتحتل الولايات المتحدة المكان الاول في استيراد المصنوعات الزراعية من بلادنا والمأكولات وجلها من سوريا . فاذا اختار لبنان الوقوف تجاه التعاون العربي موقف الغريب ، بل تعمد لزوم العزلة عن جيرانه ، اعتبرت الدول المتعاونة موقفه هذا من قبيل الجفاء فقابلته بالمثل واغلقت في وجهه مرافقها .

وحينئذ نسأل المحاضر الكريم : الى من يصدر لبنان مصنوعاته ؟
نسأله رأيه والحالة هذه ايكون الاتحاد مصدر البوار والخسران أم يكون سبب ذلك الانفصال والجفاء ؟

ومن العجيب ان يبقى في لبنان من يستسيغ هذا البحث . بينما نرى اليهود في فلسطين يتوسلون للدخول في جامعة الدول العربية قصد نفاد مصنوعاتهم .

محمد جميل بيهم

ادونيـــــس

*

للدكتور حبيب ثابت

• • •

يا إله الجمال والحب والسحر حلالاً ، ويا حبيب العذارى

جاءك الكون ساجداً وتمنى لو يصير الجمـال رباً فصارا ! ...

•

مسح الليل خصلتيه بعينيك مراراً حتى اغـار النهـارا

والنجوم الزهراء في جبهة الشرق تمنت لو اصبحت لك دارا

وتمنى الشقيق في كل وادٍ لو تملى من وجنتيك احمرارا

وتمنى الحمـام في كل طوقٍ لو تهادى عن جانبيك وطارا

وتمنى الغصن المصفق لو سار صباحـاً الى حمـاك فسارا

•

انت يا جمرة القلوب على الشوق ويا قبلة الهوى كيف دارا

جعلوا الشعر في جمالك غمزاً والقوافي المخلعـات ستارا !

سمار الظلام

بقلم عبد المعطي المسيري

ارخى الليل رواقه على القهوة فغرقت في الصمت والظلام ، واخذت صفوف المقاعد والمناضد تنصت في اطراق واهتمام الى (المرآة) التي انطلقت في الحديث عما وقع لها اثناء النهار والليل . عن الوجوه التي تطلعت اليها مشرقة مستبشرة ، والتي حملقت فيهـا بفضول وتقطيب ، وعن العيون التي صوبت اليها نظرات مختلفة تنطوي على معان شتى من التمني والرجاء ، والخبث والرياء ، وعن الشفاه التي تتقلب بين المط والزم والتبسم لتتخير كل منها النحو الذي يكفل لها حسن الوقع والتأثير .

وختمت المرآة حديثها متسائلة : .

(ماذا لو تكاشف الناس ? أو رزقوا جميعاً القدرة على قراءة النفوس من الوجوه ?) .

وعندئذ ردّت عليها (الساعة) :

(كنت تفقدين يا عزيزتي سلطانك ، اذ لا تعد للناس حاجة اليك) .

وكانت الساعة قد اكتملت دورتها فشرعت تدق في أذن الزمن : — تن . تن . تن . ثم عادت في وقار الى سيرها البطيء ، ووسوستها الخافتة ، تحصي بها على الزمن انفاسه ! ولو أرهفت أذنيها لسمعت احد المقاعد يهمس لزميله :

(لو سمعت ساعتنا سخرية القمر لاصيبت بخبل يريح الناس من ثقلها وثرثرتها) .

*

وكان في أقصى شمال القهوة مقعد هرم تتهالك أجزاؤه ، ولكنه يتماسك خجلا من زملائه واشفاقاً على نفسه من شماتتهم ، وكان قد مضى عليه عهد بعيد وهو في مكانه لا تلمسه يد ، ولا يقربه انسان ، ضنت عليه القهوة بالترميم والتجديد عندما عبثت به يد البلى ، وساقته الى هذا المنفى في اقصى الشمال حيث تخيم العتمة ليلا ونهارا فقبع يصارع ما يلح عليه من وهن بما يذكره ايام عهده بالحياة والنور الى أن كان مساء تلك الليلة اذ آثره احد الرواد فاختاره للجلوس عليه .

جاء الرجل بعد الغروب فتبارت المقاعد في التطلع والتبسم لاغرائه ، ولكنه صدف عنها جميعاً واقتحم الركن المنبوذ بعينيه ثم اتجه اليه منحيا عن طريقه تلك المقاعد ومد يده فأمسك بهذا المقعد الحزين الذي كاد يرقص فرحا وخجلا .

وجلس الرجل برفق حيث ادرك وهن عظام المقعد ، وتماسك المقعد وحبس انفاس ضعفه ليتيح لصاحبه ما يبغيه من دقة التفكير والتأمل فقد عرف من شرود نظراته ، وانطوائه عـلى نفسه انه من الشعراء ! !

وطالت صحبتهما فلم يفترقا الا عندما لم يكن من ذلك بد اذ جاء الشرطي معلنا انتهاء السهرة ليذكر الرواد ان عليهم ان يعودوا الى بيوتهم ! !

وهكذا قدر للمقعد الحزين أن يقضي ليلة ممتعة ردت اليه اعتباره فلم تقتحمه أعين المقاعد وقت أن جاء دوره في الكلام ، ولم ينكس رأسه ليجاوزه الدور الى الصف الذي يليه — كعادته — بل مال برأسه قليلا الى وراء في تؤدة ووقار وقال :

زملائي الاعزاء .

منذ زمن بعيد لم نسمع شيئاً جديدا . كل ما نفتأ نردده معاداً ، ولنا العذر في ذلك فقهوتنا يختلف اليها العلم والجهل ، والغنى والفقر ، والنعيم والبؤس ، والحب والبغض وما الى ذلك مما تحدثنا عنه حتى سئمناه وقد كان خليق بنا ان نلوذ بالصمت الى ان نشهد ما يستحق الذكر ، ولكن للاسف قد سرت الينـا عدوى الثرثرة وحب الكلام من سادتنا والان يا زملائي الاعزاء لاول مرة احدثكم عن الشعر ، وطبيعي ان قولي (لاول مرة) سيغضب الكثير من المقاعد التي تعتقد ان اصحابها من الشعراء ، ولكني أرجو أن تهونوا

على انفسكم وان ترجئوا همسكم ولغطكم فستعلمون بعد قليل ان ما جال بخاطر شاعري الذي سعدت به هذا المساء لم يكن من الطراز الذي الفناه ، بل كان فناً سماوياً أتمنى لو يتاح لكم نقله الى رجال الفن لعلهم يتأثرون بمعانيه واتجاهاته ....

الى هنا كان الضجر قد الح على (الموائد) فقدخشيت ان يسترسل المقعد في الكلام فيدركها الصباح قبل ان تشترك في هذا السمر فقاطعته احداها قائلة :

سلامتك ايها الرفيق ! ! أكبر الظن أن الايام قد أحوجت سمعك الى ترجمان ! ألا تذكر اننا قد اتفقنا من قبل على اغفال الكلام عن الفن ، حيث انتهينا الى الحكم بأن لا نفع ولا رجاء منه ! وبذلك كنا احسن ادراكاً لحقائق الامور من الناس ؟ ؟

فأجاب المقعد : - كيف كان ذلك ومتى ؟ ؟

فقالت المائدة : -

في ليلة عاصفة كنا نسمر كالعادة ، ودار حديثنا نحو الفن - أستغفر الله - بل حول اسبابه ونتائجه فألفينا الناس قد أجمعوا على ان الفن يساعد على تخفيف ويلات الانسانية ، ويحبب اليها الحق والجمال ، ويعمل على اثارتها نحو الخير والمحبة والكمال ، ثم يجتثافي هذا فوجدناه من الاوهام والاباطيل ، فالناس كانوا وما زالوا يصنعون الفن - او يلهمونه على حد تعبيرهم - من عهد افلاطون الى الان والى ما شاء الله ومع ذلك فالبشرية لم تتأثر به بل على النقيض كلما كثر الفن وشاع امعنت في الشر وتفننت في الايذاء ، واسرفت في الانانية ، وقد انتهينا ايضاً الى ان الفن مرض وبيل يصيب بعض الناس ومصيبة هذا المرض ان صاحبه يتلذذ به فلا يسعى الى الشفاء منه ، بل يشيد بفضله ، ويتخذه قناعاً يواري به ضعفه ، موهماً الناس ، وموهماً نفسه انه من العظماء ، ثم يسير في آخر القافلة يجتر آلامه وامراضه ، يحثه ويدفعه لفظ خادع كالسراب اسمه .... الخلود ! !

من اجل ذلك قررنا غض النظر عنه وعن المصابين به .

وسكتت المائدة فالتفت المقعد الحزين الى المقاعد المجاورة وسألها :

أحقا ما تدعيه المائدة ؟ ؟

فأجابته المقاعد : - حقاً ، ولا يحتاج الى سؤال !

عندئذ ملكه التأثر فوجه الكلام بعنف الى الجميع قائلاً : - لست أستطيع أن أتصور أو أحتمل دنيا بلا فن !

فرد عليه أكثر من واحد : - وما الذي يمسك بك ؟ مت أيها الرفيق ! !

واستدركت المائدة قائلة :

أجل مت أيها الرفيق لتنعم بمعاشرة أفلاطون ورفائيل وبتهوفن وشكسبير ومن اليهم ! !

فقال المقعد بصوت متهدج :

هذا بالضبط ما سأفعله عندما تتاح لي أول فرصة سانتحر ، سانقض بمجرد أن تلمسني يد انسان !

فأجابته المائدة :

حسناً تفعل ، وعند لقائك رجال الفن لا تنس أن تقول لهم بلساننا : - ان الانسان هو الانسان مع فارق طفيف ، هذا الفارق هو : أن انسان الغابة كان يقتل ليعيش وانسان المدنية يقتل رغبة في الظهور والثراء ! ! .

وعندئذ قاطعها المقعد قائلاً :

على رسلك ، فكثيراً ما يحول الفن بين الانسان ونزعة الشر ، فالانسان حين يصنع الفن يتجرد من طينته ، ينقلب الى مبدع ، الى مقلد اصغر للخالق الاكبر ، وما الهاماته الا انعكاس لاساوب الخالق في نفسه ، وفي لحظات الالهام هذه تكون له قوة خارقة ، لو لم تتجول فناً لكانت للشر عوناً على خراب هذا الكون ، هكذا هو الانسان حين يصنع الفن ، فأما حين يتذوقه ، وتتجاوب نفسه معه ، فعندئذ يرهف حسه ، وتسمو مشاعره ، ويصفو وجدانه وفي هذا ما فيه من استعلاء للخير على الشر .

وقد كرم الله الفن ، وهدى الناس الى ما يكمن فيه من خير ومتاع ، أبدع سبحانه وتعالى في تصويره للثواب والعقاب ، والجنة والنار ، كما أبدع في خلق السموات والارض والبحار والجبال ، ثم وصف لنا كيف خلق ذلك كله ، وما خلقه الا بالحق .

هذا فن الخالق ، أبدعه وهدى الناس اليه ، والى بديع صنعه بقوله : - أنظروا تأملوا ، تمتعوا ! !

وبدأ الانسان ينظر ويتأمل ، فتأثر فشرع يقلد ! ! ....

وسكت المقعد ليفسح المجال للساعة التي شرعت تدق ، وأحصى السمار دقاتها فاذا بها ست ، فعرفوا أن قد أدركهم الصباح ، فسكتوا عن الكلام المباح ! !

دمنهور عبد المعطى المسيري

من فنون الآثار عند الاقدمين

بقلم نور الدين بهيم
امين المخطوطات بدار الكتب الوطنية

الاذن بالحفر عن الآثار

لم يجهل الاقدمون قيمة الآثار ولم يهملوا امرها ولم تكن الاثار يوماً سائبة عرضة لكل باحث او تاجر او معتد بل كان الحرص عليها شديداً من قبل الهيئات الحاكمة ولا يمكن الكشف عنها الا باذن خاص وكانوا يسمون علم الاثار علم الدفائن .

قال المسعودي وكان جماعة من اهل الدفائن قد وقع اليهم كتاب ببعض الآثار فيه وصف موضع ببلاد مصر على اذرع يسيرة من الاهرامات فاخبروا الاخشيد محمد بن طغج بذلك وطلبوا منه اذنا في الحفر عن هذه الاثار فاذن لهم واباح لهم استعمال الالات في اخراج الاثار فحفروا حفراً عظيماً الى ان انتهوا الى ازج واقباء وحجارة مجوفة في صخر منقور فيه تماثيل قائمة على ارجلها من انواع الخشب قد طليت بالاطلية المانعة من سرعة البلى وتفرق الاجزاء والصور مختلفة منها صورة شيوخ وشبان ونساء واطفال اعينهم من انواع الجواهر ومنها ما وجوهها ذهب وفضة[١].

الانفاق على كشف الآثار

ذكر يحيى بن بكير قال : كان عبد العزيز بن مروان عاملا على مصر لاخيه عبد الملك فأتاه رجل متنصح فسأله عن نصحه فقال بالقبة الفلانية كنز عظيم قال عبد العزيز وما مصداق ذلك قال هو ان يظهر لنا بلاط من المرمر والرخام عند يسير من الحفر ثم ينتهي بنا الحفر الى قلع باب تحته عمود ثم تظهر اثار ثمينة فامر له عبد العزيز بنفقة الوف من الدنانير لاجرة من يحفر من الرجال في ذلك ويعمل فيه .

وكان هنالك تل عظيم فاحتفروا حفرة عظيمة في الارض والدلائل المقدم ذكرها من الرخام والمرمر تظهر فازداد عبد العزيز حرصاً على ذلك واوسع في النفقة واكثر من الرجال ثم انتهوا في حفرهم الى ظهور الاثار الثمينة[٢].

حفظ الآثار

يروي التاريخ عن كثير من الملوك والامراء والقواد انهم هدموا الابنية وحطموا الآثار وخربوا الديار ولم تخل امة او دولة من هؤلاء الفاتحين المخربين كما ان الزمن لم يحرم من اناس حافظوا على كنوز وآثار وتحف من تقدمهم من الاولين .

هذا خالد بن برمك[٣] فانه وقف بوجه ابي جعفر ناصحاً اياه ان لا يهدم قصور اخصامه ولا يتلف آثار من تقدمه من الملوك الاعداء، قائلاً له : لا تفعل بل اترك اثر اخصامك ،اثلا يستدل به على اقتدار آبائك الذين استولوا بسطوتهم وقوتهم على هذه الكنوز[٤].

وهذه مكتبة الاسكندرية التي شغل حريقها المؤرخين مدة طويلة من الزمن انتهى امر البحث بها الآن وقرر المؤرخون الثقات[٥] ان المكتبة لم تحرق حرباً ولا عمداً . ومن هؤلاء المؤرخين جبون[٦] وبطلر[٧] وسديو[٨] وغيرهم[٩].

غواية الآثار

يتوفر الترف عند العظماء من ارباب الدولة ثم ينقص شيئاً فشيئاً عند من هو اقل منهم في الجاه الى ان يبقى منه نصيب لعامة الناس وهم وان لم يكونوا باوضع هؤلاء الملوك من جلالة قدر لهم واتساع نعمة عندهم غير انهم اخذوا يتمتعون انفسهم من الطيبات في جميع وجوهها بعد ان تغربوا بالاسفار التي اكسبتهم التجارب وارتهم العجائب واوجدت لهم التجارات والمكاسب فصار الناس من الجهات يقصدونهم بالخبر ،ا عندهم من جميع الاجناس الى ان عمرت عندهم الاسواق وتطرقوا من التماس الحاجات لضرورة العمران الى اقتناء الاشياء للزينة والمباهاة كابتياعهم السلاح المنزل بالذهب

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ج ١ ص ١٧٦ طبعة ١٢٨٣

(٢) مروج الذهب للمسعودي ج ١ ص ١٧٥

(٣) حضارة الاسلام في دار السلام ص ٢٢ مطبعة المؤيد مصر ١٩٠٥

(٤) نهاية الادب لشهاب الدين النويري ج ١ ص ٣٨٠ مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٢

(٥) حضارة الاسلام . (٦) جبون مجلد ٩ ص ٢٧٤ - ٢٧٦

(٧) بطلر ص ٤٠١ - ٤٢٦ The Arab Conquest of Egypt

(٨) سديو Sédillot, Histoire générale des Arabes vol T ص ١٥٥ - ١٥٦

(٩) عن حسن ابراهيم حسن ج ١ ص ٣١٤ الطبعة الاولى ١٣٥٣ مطبعة حجازي بالقاهرة .

وتنافسهم في الجواهر الثمينة والآنية المزخرفة والمتاع الفاخر (١٠) .

جمع الاثار

كان المأمون من اعظم غواة التحف والاثار وعرف عنه انه كان يجمعها على شتى انواعها وقد عني بجمع آثار الملوك من ثياب وسلاح وآنية ومتاع وغير ذلك حتى جمع من طرائفها وظرائفها القدر العظيم الثمين .

وقد ذكر المؤرخون انه كان عنده خواتم الخلفاء جميعاً من العباسيين والامويين والخلفاء الراشدين ومن كان يقوم بدعوة الخوارج بعدهم وفي صدر الدولتين فكان جامعاً لجميع خواتمهم الا خاتم محمد بن عبدالله ولو لم يكن ضاع من عثمان في بئر أريس كما تواتر في الانباء لما كف عن طلبه حتى يجده (١١) .

هرون الرشيد يجمع الثياب الاثرية (١٢)

حدث الاصمعي يوماً هارون الرشيد عن ملوك بني امية فقال ان سليمان كان نهماً اذا قدم اليه السماط لا يصبر حتى يبرد بل يتناول اللحم بكمه وان يزيد كان اذا جلس للشراب يسقط الخمر في ثيابه (١٣) . فصاح به الرشيد : « اصدقك في نقل الاخبار والله ان ثيابها عندي (١٤) وان الدهن لفي اكمام سليمان والخمر في ثياب يزيد (١٥) . راجع لهذا المصادر ادناه التي رواها كتاب حضارة الاسلام في دار السلام .

الهادي يجمع السلاح

وكان الهادي يجمع الكثير من الاسلحة الاثرية حتى قيل انه اعطى لشاعر مدح سيفاً عنده كان لعمرو بن معدي كرب يقال له الصمصامة عشرين الف درهم (١٦) ويطول بنا البحث هنا عن الجمّاعين ولعل لنا عودة الى بحث خاص عن غواة وجمّاعي التحف والطرائف والاثار عند الاقدمين .

ارسال العمال لجمع التحف

وبلغت بهم غواية الاثار وحب التحف حد الترف الى ان صاروا يبعثون في البلدان عمالا ليجمعوا لهم الاثار الفنية والتحف الاثرية الجميلة وكانوا يجودون بالمبالغ الطائلة لنفقات اسفار عمالهم ويدفعون الاموال الكثيرة للحصول على التحف النادرة حباً بالمباهاة والجاه . (١٧)

خزائن الطرائف

هكذا اسماها تقي الدين احمد المعروف بالمقريزي صاحب كتاب المواعظ والاعتبار قال : « قال ابن المأمون اما ما أخذ مما في خزائن البلور والمحكم والمينا المجرى بالذهب والمجرود والبغدادي والخيار والمدهون والعيني والدهيمي والآمدي وخزائن الفرش والبسط والستور فلا يحصى كثرة واما الاواني البلورية فتفوق حد الوصف وصحون المينا كثيرة تباع من المائة دينار الى ما دونها . وبيع اكثر من مائة كاس بادزهر ونصب واشباهها على اكثرها اسم هرون الرشيد . ووجد في خزائن التحف عدة صناديق مملوءة سكاكين مذهبة ومفضضة بنصب مختلفة من سائر الجواهر وعدة ازيار صيني كبار مختلفة الالوان (١٨) .

امناء بيع الاثار

وكان امر بيع التحف دقيقاً جداً جعلوا له امناء بيع تباع هذه التحف بمرفتهم وعلى مسؤوليتهم من حيث الثمن وصحة الاثار واشتهر في ايام الفاطميين ابن عبد العزيز الانماطي وهو احد امناء بيع التحف والاثار (١٩) واشتهر ايضاً ابو سعيد النهرواني (٢٠) في امانة بيع التحف . وكان يجري ذلك في العهد الماضي كما نشاهده اليوم اذ لكل مؤسسة بيع تحف او اثار امناء بيع تفحص التحف وتسعرها وتبيعها وبذلك يكون البائع اميناً ان تحفته بيعت بسعر معتدل معقول عادل ويكون الشاري مطمئناً انه اشترى تحفة متأكداً من صحة امرها وبسعر حدده خبير امين .

نور الدين بيهم

---

(١٠) حضارة الاسلام في دار السلام مطبعة المؤيد سنة ١٩٠٥ ص ١١٤
(١١) ابو الفدا ج١ ص٧٧ (١٢) حضارة الاسلام ص١٤٧-١٤٨
(١٣) المسعودي ج ٢ ص ٦٢٨ (١٤) ابن خلكان ج ١ ص ٤١٠
(١٥) تزيين الاسواق ج ١ ص ١٤٣
(١٦) الحضارة ص ١٠٦ وذكره الحصري

(١٧) تزيين الاسواق ج ١ ص ٣
(١٨) ج ١ من خطط المقريزي ص ٤١٤ طبعة قديمة لم اهتد فيها الى اسم المطبعة .
(١٩) الفاطميون في مصر ص ٢٥٦
(٢٠) المقريزي ج١ ص ٤١٤

الشعور بالنقص

بقلم اديب يوسف

الشعور بالنقص نتيجة محتمة لهذا الصراع الذي ينشأ بين الطفل ومحيطه الاجتماعي ، فمن المعلوم ان الامور التي يستطيع الطفل القيام بهـا في اعوامه الاولى وكذلك الامور التي تطلب منه قليلة ايضاً ، ولكنه لا يتقدم في العمر حتى تزداد حاجاته وتكثر رغباته وحتى تزداد في الوقت ذاته مطاليب المجتمع منه وتتعدد . ولكن الامور التي يستطيع تحقيقها قليلة وقليلة جداً ، والفشل في تحقيق معظم هذه المطاليب والرغبات يثير في المراهق كما يثير في الراشد الشعور بالنقص . وعلى هذا يمكن القول اننا كلنا ومعظمنا على الاقل معرضون للشعور بالنقص ما دمنا لا نستطيع تحقيق جميع اهدافنا والنجاح في كل محاولاتنا . ولكن لا يعزب عن البال اننا متفاوتون كل التفاوت في الدرجة التي يملكها كل منا من الشعور بالنقص . اما الكثرة العظمى فتشعر بأخف درجاته ، كما تشعر بكثير من حالات عدم الارتياح وفي هذه الحالة : الشعور بالنقص وقتي لا يلبث أن يزول . وهناك فريق آخر اقل عدداً يشعر شعوراً ثابتاً بأنه اضعف او اصغر شأناً او اقل قدرة من غيره او اقل جاذبية لنظر الاخرين . ولكن هذا الفريق عندما يشعر بنقص في هذه الميادين قد لا يعتقد انه مخلوق ناقص ، فالفتاة تشعر بأنها مقصرة في السباحة او في ركوب الخيل عن غيرها من الفتيات ولكنها تحب هذين الضربين من الرفاهية ولا يهمها ان تكون فيها الفائزة الاولى او ان لا تكون .

وهناك فريق ثالث يشعر بالنقص شعوراً قوياً وهذا الشعور بدوره يؤثر في سلوكه وفي حياته تأثيراً كبيراً حتى يكون عنده حالة مرَضية تعصف به عصفاً شديداً . وقد ذهب فريق كبير من علماء النفس الى ان جميع الفتيان والفتيات يعانون اضطرابات هذا الشعور في بعض الاحيان . وذهب البعض الى ابعد من هذا فادعى ان انتشار هذا الشعور عند الفتيات اعظم من انتشاره عند الفتيان وايد دعواه بالاحصائيات . ولكن مهما كان انتشار الشعور بالنقص كبيراً فانه لا يهمنا تصويره مباشرة ، انما يهمنا ان ندرس اسبابه ومظاهره وآثاره في حياة الفرد .

اسباب الشعور بالنقص

١ : العيوب الجسمية : عزا (الفرد ادلر) الشعور بالنقص الى العيوب الجسمية كقصر قامة او ضعف البنية او تأخر في النمو او نقص في الذكاء ، وافترض ان كل فرد يملك دافع حب العظمة والتفوق . وما دامت العيوب الجسمية تقف دون ارضاء هذا الدافع فالشعور بالنقص ناشيء لا محالة .

٢ : نقص في الذكاء : ولذلك اصبحت المدارس حديثاً تتردد في اعطاء الطلاب المتأخرين درجاتهم التي تشير الى ضعفهم العقلي كما ان الهمة متجهة الى اعلام الطالب بقدرته العقلية الحقيقية والى مساعدته في اختيار اهداف تتناسب هي ومقدرته الاصلية .

٣ : الاسباب الاجتماعية : وهي ذات اهمية كبيرة تقوم بدورها من الطفولة المبتكرة الى المراهقة وما بعدها . فالطفل الذي ينشأ في احضان والدين قاسيين لا تلبث قسوتها ان تورثه شعوراً بالنقص . كذلك الطفل الذي ينشأ بين اخوة يتميزون عنه ببعض المواهب ويستأثرون من دونه بحب الوالدين يشعر بنقصه ، والاطفال اللقطاء يشعرون بنقصهم متى علموا حقيقة امرهم .

وكثير من البيوت المتوسطة والفقيرة لا تعلّم اولادهـا اساليب التحدث والتصرف الحسن في المجتمعات ، والفتى الذي لا يحسن السلوك ولا يعرف شيئاً عن الاداب الاجتماعية يرتبك في المجالس وينتهي به ارتباكه الى الشعور بالنقص .

ولمعاملة الرفاق السيئة تأثير كبير في خلق الشعور بالنقص وفي زيادته . واذا قدر لفرد ما ان يعاشر رفاقاً يسخفونه كلما ابدى رأياً ويضحكون منه كلما تحدث ويبالغون في نقده واظهار عيوبه واحصاء حركاته وسكناته وينعمون عليه بالالقاب المضحكة ، اذا قدر ذلك لفرد ما تنبأنا له بالوقوع في الشعور بالنقص .

وينشأ الشعور بالنقص ايضا عند الافراد القلائل الذين يعيشون في محيط يدين كله بغير دينهم او يختلف جنسه عن جنسهم .

مظاهر الشعور بالنقص

١ : اثبات الشخصية او تأكيدها : نرى المصـاب بالشعور بالنقص يتكلم كثيراً ويتكلم بصوت مرتفع وفي كثير من الاحيان يتكلم باسلوب اذا لم يكن قبيحاً فهو غير اعتيادي على الاقل .

٢ : المراقبة والشكوى : في هذه الحالة تراه يشكو ارتباكه واضطرابه وقلة مهارته في الكلام او في غير ذلك من الاعمـال

الاجتماعية . تراه شديد النقد لنفسه . يأخذ كل شيء ويقلبه على وجوهه المختلفة ويظهر عليه التردد ويفقد سيطرته على سلوكه ويلاحظ عليه رفاقه حركات تدل على الخبل والغباء . وهو يلاحظ ايضاً سوء سلوكه فيزداد هياجه ويكثر اضطرابه .

٣ : الغضب لاسباب تافهة : هنا نرى الامور التافهة تثير غضبه — وهو دائماً يتوهم ان الناس يتحاملون عليه ويغضون من شأنه .

٤ : الابتعاد عن المجالس : الفرد الذي يشعر بالنقص يكون كثير الابتعاد عن المجالس شديد الارتباك فيها . واذا اتفق وحضر احدى هذه المجالس فقل ان يحتك بأحد فيها بل يكتفي بالجلوس في احدى الزوايا .

٥ : الغيرة والحسد : الغيرة مفيدة اذا كانت معتدلة . اما اذا كانت متطرفة فهي تدل على وجود الشعور بالنقص عند الفرد. والفرد يعبر عن غيرته عندما يبدي ملاحظات وانتقادات من شأنها ان تحقر الاخرين وتحط من قدرهم وتنزل بهم الى مستوى اوطأ من مستواه . وقد يترتب على هذه الغيرة نتائج سيئة في كثير من الاحيان .

٦ : الخوف : هنا يخشى المراهق الاشتراك في اية مسابقة مع الاخرين ويصعب عليه اقناع نفسه بالنجاح . وسبب ذلك انه يخاف الفشل خوفاً كبيراً .

٧ : حب الكمال : في هذه الحالة لا يرضى الفرد عن اي عمل يقوم به . فهو يكتب الرسالة مرة ومرتين وثلاث مرات مثلاً ويقرؤها مرة ومرتين وثلاث مرات ولا يزال دائم التردد في ارسالها مخافة ان يكون فيها بعض الاخطاء .

٨ : الجنس : عندما يظن الفرد ان جنسه يقف عثرة دون تحقيق رغباته يحتقر جنسه ويتمنى لو انه كان من الجنس الاخر . وهذا يحدث على الاخص عند الاناث فقد لوحظ في حالات كثيرة ان البنات يتمنين لو انهن كن ذكوراً ، وهن يحققن هذه الامنية الى حد ما عند قيامهن بالاعمال التي يقوم بها الذكور وارتدائهن الالبسة التي يرتديها الذكور .

٩ : الميول المعوضة : اذا ما شعر الفرد بنقصه في احدى النواحي يحاول ان يعوض هذا النقص بالتفوق في نواح اخرى . وهكذا يلجأ الى بعض الالعاب او الى بعض المعلومات او الى بعض المهن . واذا كان هذا التعويض متزناً فهو مقبول . اما اذا كان مهوشاً مضطرباً فهو يدل على ان الشعور بالنقص قد اصبح في اخطر حالاته . فالفرد الذي يسرق سرقات زهيدة ولا يحتاج اليها يريد ان يشبع نقصه بصورة غير متزنة من هذه الناحية . والفتاة اذا اعتقدت ان جسمها ليس كامل البناء او ان قوامها ليس معتدلا او ان وجهها ليس جميلا تشعر بنقصها فتصرف المال الكثير على ملابسها ووسائل زينتها وكمالياتها لتعوض نقصها بصورة غير متزنة ..

١٠ : حب العزلة : في العزلة يفكر المرء ويحلم بكثير من الامور التي ترضى ميل حب العظمة عنده . فاذا وجدنا فرداً يقضي اوقاته — لغير ما سبب ظاهر — منعزلا وملتهيا باحلامه فلا بد انه يجد في هذه الاحلام بعض العزاء سواء كان نقصه حقيقياً او متوهماً.

نتائج الشعور بالنقص وعلاجه

اذا لم يتهيأ للمرء من ينقذه من هذا المرض النفسي ازدادت هذه المظاهر قوة وتشعبا وأدت الى صفات سيئة تلازم الشخصية ملازمة دائمة . ولكن اذا قدر المرء ان يعوض نقصه بتفوقه في نواح اخرى اختفى شعوره بنقصه وبدأ يحيا حياة طبيعية هادئة . وقد هيأ الاستاذ فوكهان والاستاذ سويفت قوائم باسماء كثير من الاشخاص الذين قاموا باعمال موفقة نتيجة شعورهم بنقصهم . لذلك نستطيع ان نقول ان الفرد ينجح في حياته اذا ما ذاق لذعة الشعور بالنقص واحس بوطأته فعمد الى التخلص منه وتعويضه . ولكن من المحتمل ان يكون هناك افراد قلائل فشلوا في انجاز شيء يستحق الذكر لتغلب الشعور بالنقص عليهم. وخلاصة القول انه لا يشترط في الشعور بالنقص ان ينتهي دائما بشقاء الفرد وتعاسته بل كثيراً ما ينتهي براحته وسعادته . وكثيراً ما يختفي الشعور بالنقص اختفاء تاما . وهذا قد يتطلب شهوراً او سنين عدة . وقد يختفي بسرعة كبيرة . ويساعد على ذلك معرفة المرء نفسه واستعداده معرفة صحيحة والاهتداء الى ان معظم الافراد الذين يعيشون معه مصابون بمصابه ، بالرغم من انهم لا يقرون له بذلك لهذا يستحسن افهام المراهق ان معظم الافراد الذين سبقوه في العمر قد مروا بما يمر به الان . واذا كان سبب شعوره بنقصه اعتقاده بانحطاط عقليته يزول شعوره بنقصه اذا ما كشفت له اختبارات الذكاء عن فساد اعتقاده . واذا كان سببه قلة خبرته الاجتماعية يكفي ان نعلمه الاداب الاجتماعية ونكثر من اخذه الى المجالس والمجتمعات لكي يألفها ويأنس بها فيزول شعوره بنقصه . وهكذا يجب التعرف على اسباب الشعور بالنقص ثم محاولة ابعاد هذه الاسباب وازالتها او تعويضها لكي يختفي الشعور بالنقص .

بغداد — اديب يوسف

نجوى تمثالها

«الى اخي في الروح الاستاذ خليل هنداوي»

في ليلة عابرة من نيسان ، آثر النسيان أن يكفن آمالاً ، ويختم على آلام . ثم راح نيسان ، وعاد اليوم يضحك في صبوة الربيع ، يحمل للفنان المرزوء ، ذكرى بثوب جديد .
لذا فقد دفعه حرصه على احياء تلك الذكرى ،
بأن يبيت ساهراً ، مؤرقاً في ظلال تمثالها ،
ينثر على قدميه هذه النجوى ....



ها انا أشعل من صبري كفناً كفناً ، وفي تسابق آهاته ، ذاهبة في ريح الليل بغير جناح ..

ها انا الليل ، القي بنظري اليك ايهـا الرخام الصامت ، وفي صدري ترجف آلاف الاشجان فلا ارد واحداً منها .

وها ان نوراً باهتاً يهبط الى جسمك في انصباب رائع أخاذ . ثم يخطف على هذا الصدر العاري .. وعلى وجهك الغارق في بحيرة الصمت .. ولا تدري عيناك ، انهما في النور المخمور تهمسان اي همس ، وتتكلمان أي كلام ..

ترى ما الذي يرنح صدرك الليلة ؟.. وما لهذا النفس الطويل المرخى ، يمتد منك بحرارته ونداه اليّ ..

أي الموجات التي تعبر فيه ، دانية الى شاطىء روعي الذي اضحى الساعة رمالاً تتسافى ؟

انهـا تعذبني اذ ترتطم فيّ ، انا الجرف الهاوي ، مثل هذا الارتطام !

هيه ايها الرخام !. يا من كانت الدمـاء تخط فيك سطورها الحارة الزرقاء ، ناقلة في نبضها الوتير ، انشودة الحب ، ونداء القلب . انني اتحسسك من جديد ، فـلا اجد في جانحك ذلك الخفق المضطرب اللجوج ..

كان صدرك ينمو بين يديّ ، بنمو الزمان ، وهـا قد تجمد برعماه .. بلورتين من ندف الثلج ، تستقران على عرش القلب الذي دهمه الموت !

ها اذني تتقرب الى مستقرك البـارد ، في الزاوية التي كانت محراب الامس .. وتلتصق بصدرك ، لعلها تستمتع بذلك النقر الناعم المعهود ..

لعلها تسمع مرة اخرى سمفونية الاشواق ، تنتقل اليها من قلب ثمل يعبر ربيعه العشرين ...

دخان سيجارتي يغمرك ياتمثالي .. وها انت تراني ادفن انفاسي في اكفان هذا الدخان المتعاقد فوق جبينك الضاحك في الظلام ..

فهل يروقك هذا السحاب المثقل بذرات كبد يتناثر على مهل وابطاء ؟..

ارى ان جبينك الناصع ما يزال يضحك ، ويملأ هذا الظلام اشراقاً وبهراً يا محبوبي . أفهل تنكرني بعـد ذاك ان احترق واذري فوقك رمادي ؟!

ليتك تسمع وترى .. ولكن .. ألتسمع غرغرتي عنـد اقدامك ؟ ام لترى ظلمة عيني المتأملتين فيك ؟

ألتسمع نواحي .. ام لترى دموعي ؟ ليتك لا تسمع ولا ترى !!

ايه يا تمثالها . يا قلبها الذي تجمد في الرخام . ويا ينابيعها التي تغورت . ويا تلك الجداول الزاهية من ألوان الدماء . دماء بنت العشرين .

ها اني اشم في ريحك البـاقية عبق المرأة المولية ، المرأة التي كانت تخطر هنا وهناك ، في الشرفة ، وفي البيت ، فتملأ جوي بالعطر الذي يضحك ويغني .. والغناء الذي يتناثر عطراً .

الشرفة مفتوحة ، الفضاء سكران بطيوب المساء ، والبخور كالامس الذاهب يتنفس انفاسه الطويلة الملتوية فوق الموقد . و كل شيء باق على المعهود ..

موقدي متوج بالجمر ، وعروقي تفيض نشوة ، وحرارة وحبا
ولكني لا ازال ارى نضوعك الساجي يكفكف بأنامله البيضاء دجو هذا الظلام .. فمتى تستفيق يا مليكي ؟
لنمزج خمرينا ...

عانات – شاطىء الفرات
نوري الراوي

اخي

بمناسبة بلوغه سن التاسعة

☆

الى اخي الصغير صلاح

ستقرأ ابياتي هذه بصعوبة ومشقة ، لكنني متأكد انها ستقع من نفسك موقعاً حسناً لان الكلمة اذا خرجت من القلب دخلت الى القلب، واذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان :

ولي أخ سبحان من زانه — من عبق النور ومن طهره ..
يحط إماً سار في روضة — سرب الفراشات على شعره
يحسبه الوردة في دلها — فينثني ينشق من عطره ..
تكاد لا تبرح من ظرفه — البسمة الخضراء عن ثغره
تقرأ في عينيه إما رنا — آيات ما يطرأ في فكره
له بقايا من خيال الفنا — لا ترهب القادم من عمره
تشع في عينيه امنية — تهزأ بالمعضل من امره
هيمان لا يملك الفاظه — كأنه السكير في سكره
والشاعر الموهوب يوحى له — المعنى فيبدو الطبع في شعره

اللاذقية — عبد الكريم سيف الدين

• • •

عبد الكريم سيف الدين شاعر شاب نابغ ، فقدته بلاد العلويين ، وفقده الشعر العربي ، في العام الفائت ، في مأساة فاجعة ذهب هو واخوته الثلاثة ضحيتها .. فقد اشتعلت بهم السيارة على طريق اللاذقية ..

وشاعرنا الفقيد زهرة تفتحت .. ثم ذبلت دون ان ينتشر اريجها .. وهذه الابيات التي تختارها الاديب من ديوانه الذي يصدر قريباً ، بعض هذا الاريج من ذلك النبوغ المنطفىء ..

الثنائية مبطلة الضدية

بقلم الاب مرمرجي الدومنكي

☆

من آفات العربية آفة الضدّية ، أي وجود كلمات كثيرة تدل كل واحدة منها على معنيين متعاكسين، مثل، « الجون » المراد به الابيض والاسود في وقت معاً . لقد حاول كثيرون تعليل هذه الحالة ، وانقاص هذه المتضادات . وعندنا ان من جملة الوسائل لمحو الضدية ردّ مادتها الثلاثية الى ثنائيين ، يكون كل منهما اصلاً للثلاثي في احدى الدلالتين المتضادتين. وقد عقدنا لذلك فصلاً خاصاً في كتابنا « المعجمية العربية »، سردنا فيه طائفة من الاضداد ، وابنّا كيفية ازالة الضدية منها بوسيلة الثنائية . وها نحن اولاء نبسط في هذا المقال ما توصلنا اليه من محو الضدية في طائفة اخرى من هذه الالفاظ ، وذلك خدمة للمعجمية العربية .

١ : أبَض – « ابض » : سكن . وابض : تحرك . بالمعنى الاول أبض صادر من الثنائي « بضّ في بضا وباض » : اقام في المكان وسكن . بالمعنى الثاني ، من « أبّ » الشيء : حرّكه .

٢ – أبَل – أبل : رطب . وأبل : يبس . بدلالته على رطب ، يُشتق من « بلّ » : ندي . وبمعناة يبس ، من « أبّ » ، في الابّ ، وهو الكلأ .

٣ – بطَل – بطل : ذهب ضياعاً . وبطُل : كان شجاعاً . الاول من « بطّ ، بطبط : غار الماء . والثاني من « طلّ » : اشرف . لانه يعلو بهمته على غيره .

٤ – باع – يدل هذا الفعل على الاشتراء ، وعلى تقديم البضاعة . اصله من « بعّ »: صبّ ، ملّ ، بسط . « باع يبوع »: مد باعه والباع مسافة ما بين الكفين اذا بسطتهما. وباع الحبلَ : مدّه وتقول: « بُعْ بُعْ » اذا امرت الرجل بمد باعه في طاعة الله .

« باع يبيع » : الاصل فيه من الثنائي « بَع » ويدل على البسطة والمد ، من ذلك التسليم . وكان البيع قديماً يجري بالمقايضة عيناً بعين . فكان البائع يسلم مثلًا حنطة ، والمشتري يقدّم زيتاً . فكان كلاهما بائعاً اي باسطاً او مسلماً ولهذا جاء باع بمعنى البيع والشراء . وبهذا تفسر الكلمة المستعملة في اللهجة العراقية «باوَع» بمعنى نظر ، الغريبة ظاهرياً عن لفظة باع . لكن الاصل واحد وهو الامتداد . وما النظر سوى مدّ البصر الى الشيء المراد رؤيته .

٥ – زحك – زحك البعير : اعيا وزحك في المكان : أقام . وزحك منه : دنا . وزحك عنه : تنحّى . « زحك » أعيا ، مُشتق من « زك ، زكزك » : مرّ الشيخ يقارب خطوه ضعفاً . وزُكّ الرجلُ ، مجهولاً : ضعف من مرض ، هرم . وزحَك ، بالمعاني الاخر ، صادر عن « زحّ » الدال على الحركة . وبواسطة حرف الجرّ يتخصص ، اما بالحركة عن الشيء ، وهو الابتعاد والتنحي ، واما بالحركة الى الشيء ، وهو الاقتراب والدنو . واذا استمر الدنو نتج منه الاقامة في المكان .

٦ – سبَد – سبد الشعر : حلقه . وسبد شاربُه : طال حتى سبغ على الشفة . سبّد الرجلُ شعرَه : استأصله . وسبّد الرجلُ : بدا شعر رأسه ، بعد ان حلقه .

سبَد ، بمعنى حلق واستأصل ، صادر عن الثنائي « سبّ » الشيء : قطعه . وسبد ، بدلالة نبت وطال ، آت من الثنائي « سدى » طال وامتد .

٧ – سجد – سجد : خضع وانحنى . وسجد : انتصب . سجد بالمعنى الاول مشتق من « سجّ » رمى . وبالمعنى الثاني ، من « سدّ » ، لان ما يسد شيئاً يرتفع فوقه ، فكأنه منتصب .

٨ – سدَف – سدف الستر : ارخاه وارسله . اسدف الفجر : اضاء . اسدف الليل : اظلم . السدف والسدفة : الضوء . السدف والسدفة : الظلمة .

اصل هذا الثلاثي من الثنائي « سد » في سدى : مدّ ، بسط .

فيكون السدف اسدال او بسط الستار . والستار ستاران : ستار الظلام في الليل ، وستار النور في النهار .

السُدفة : اختلاط الضوء والظلمة معاً . وهذا يحدث مساء حين يُقبل الظلام وهناك بعد شيء من النور ، وعند الفجر ، لمّا يقبل النور بعد بعض الظلام .

٩ — سجر — سجر الماءُ النهرَ : ملأه . وسجر الرجل الماء في حلقه : صبّه . المسجور : الذي سال فيه المـاء فملأه ، فهو الممتلىء . والمسجور : الذي سال منه الماء فافرغه ، فهو افارغ .

اصل « سجر » هو الثنـائي « سجّ » رمى ، القى ، صب . « اذا البحار سجّرت » اي فرغ بعضها من بعض . يعني اذا امتلأ الواحد فرغ الثاني . واملاء اناء من اناء آخر يتطلب افراغ الثاني كنتيجة سلبية . وفي كلا العملين يجري السجّ او الصب .

١٠ — سرّ : كتم . وسر : أعلن . أسرّ السر : كتمه . وأسر السر : اظهره .

اصل السر من السرر اي القطع . والشيء المكتوم ، اعني السرّ ، هو ما يقطع عن الغير فيبقى خفياً ، اي يسير او يسري الى الداخل . واسرّ بمعنى اظهر صادر عن ذلك ايضاً لكن بطريقة معاكسة . لان الظاهر يكون خفياً فيقطع عن الداخل فيسير او يسري الى الخارج ، فيعتلن .

١١ — صرَم — صرم : قطع . والصريم : الصبح . والصريم : الليل او قطعة منه . صرم ناشىء عن الثنائي « صر او صرى » : قطع . وسمي الليل والصبح صريماً ، لان الصبح يُصرَم من الليل ، والليل يصرم من النهار .

١٢ — عطل — عطل : فرغ ، خلا (من الحلي او غيره) . العطل من الرجال : الخالي من المال والادب . امرأة عطلاء : لا حلي عليهـا . العطل : الخلو من الحلي . والعطَل : الشخص القوام العطل : الحسن الجسم . امرأة عطلة : حسنة الجسم .

« عطل » بمعنى فرغ ، آت من الثنائي « عَطّ » : شق ، او من « عَطا » السريانية ، ودلالته : غطا ، محـا ، ابعد ، اهلك ، اباد . « وعطل » ، بمعنى الجسم الحسن ، او الشخص ، صادر عن « طل وطلل » وهو الشاخص من آثار الدار ، والمكان العـالي ، وشخص كل شيء . والطل الحسن . وامرأة طلّة : حسنة .

١٣ — عنَد — « عنَد » عن الطريق والقصد : مال وعدل . أعند فلاناً : عارضه بالخلاف . وأعند فلاناً : عارضه بالوفـاق . « عنَد » مشتق من الثلاثي « عن » : اعترض لفـلان من يمين او شمال . وعنّ له الشيء : ظهر امامه . وعنّ عن الشيء : اعرض عنه وارتد .

١٤ — غضا — « غضا » الليل : اظلم . وأغضى الليل : البس ظلامه كل شيء . « الغاضية » : المظلمة من الليالي . « والغاضية » المضيئة من النيران قال الازهري : ليلة غاضية : شديدة الظلمة . والغـاضية العظيمة من النيران . قال الازهري : أخِذَت من نار الغضى ، وهو اجود الوقود . وفي المصبـاح : الغضى : شجر ، وخشبه اصلب الخشب . ولهذا يكون في فحمة صلابة . »

قلت : في « غضّ » ، وغـاض ، وغضى » معنى شامل ، وهو الكسر ، والنزول ، والاطباق ، والالبـاس ، والشمل . وهذا من خاصية الظلام ليلاً ، اي انه يسدل ستاره ويغطي كل شيء . ويسوغ تطبيق هذا المدلول على النور ايضاً ، لانه يشمل كل شيء نهـاراً . والا فيجوز الاستناد الى تعليل الازهري في فحوى « نار غاضية » أي منسوبة الى الغضى ، كما سبق اعلاه .

١٥ — غمد — « غمد » الشيء : ستره وغطّاه . غمدت الركيّة : ذهب ماؤها . تغمد الاناء : ملأه . تغمد الله فلاناً برحمته : غمره بها . الغامد والغامدة : السفينة المشحونة . والغامدة : البئر التي غُطي ماؤها بالتراب . الغمد : جفن السيف الذي يستره .

اصل الثلاثي هو الثنائي « غم » ومعناه : علا ، غطّى ، ستر بهر . لان الماء الغائر في الارض يستتر . والماء الكثير الذي يملأ البئر او غيرها هو الذي يغمرها ، اي يسترها .

١٦ — فزع — « فزع » ارتاع . وفزع : اغاث غيره . الاول من « فزّ » : تحرك واضطرب . والثـاني ايضاً من « فزّ » لان الاغاثة تحرك للمساعدة . او يجوز اشتقاقه من « زع ، زعزع » : حرك بشدة . المُفزّع : الجبان ، والمفزع : الشجاع . الاول من « فزّ » اضطرب . لان الجبان يخاف فيضطرب . والثاني ايضاً من « فز » اي تحرك . لان الشجاع هو الذي يُفزَع اليه او يستغاث به ، للثقة ببسالته .

١٧ — فغم — « فغم » الطيب فلاناً : سد خياشيمه . ريح تفغم الخياشيم : تملؤها . وفغم السدة : فتحهـا . وفغم الورد : تفتح .

« فغم » ، بمعناه الاول ، مشتق من الثنائي « فم » : غطّى ، سدّ ، القم . وبدلالته الثانية من « فغ » فـاح . يقال : فغّمتني الرائحة : فاحت علي .

١٨ — قوي — « قوي » كان غير ضعيف ، طاق . وقوي :

خلا . وقوي : جاع شديداً . أقوت الدار : خلت من سكانها. اقوى القومُ : فني زادهم . أقوى زيد : افتقر . وأقوى : اغتنى .

الثنائي الاصل يظهر في الاكدية في كلمة « qû » ومعناهـا الحبل . وفي العربية « القوة » كل طاقة من طاقات الحبل المفتول وكذلك في السريانية « qawyâ » . والقوة تـأتي بمعنى القدرة والشدة . وبفعل القوة المادية او المعنوية تحصل الكثرة والمال والغنى .

قوي : خلا ، جاع ، كان بلا زاد ، ومن ثم افتقر ، مصدره الثنائي « قي » في قاء يقيء ، الدال على القاء الطعام من الفم ، او افراغ المعدة ، ومنه الجوع مما يتطلب جهداً ، وينتج عنه الخلاء . ومن باب التقييد ، الخلاء من السكان ، او الخلاء من الزاد والمال ، مما يحصل عنه الفقر .

١٩ – قشَع – « قشع » القوم : فرقهم . قشع الشيء : جف ويبس . القشْع : الرجل المتقشع لحمه كبراً . والقشع : الجلد اليابس . قشَع : فرّق ، صادر من الثنائي « شعْ » : فرق ، انتشر . وقشع : يبس ، ناشيء عن « قشّ » النبات : جف ويبس .

٢٠ – قعد – « قعد » : رمى بنفسه على القـاع ، او كان واقفاً او قائماً فوقع على القاع ، او كان مضطجعاً فانتصب ، وهو باق على القـاع . هذا الثلاثي مشتق من « قعْ » في وقع . يقال للقائم : أقعد ، وللنائم : اجلس . وقعد : قام ، هنا بمعنى الثبوت والاستقرار . من ذلك اقعد فلاناً اقامه وجعله قاعداً . وقعدت الفسيله : صار لهـا ساق ، وثبتت في القاع . القُعْدُد : الجبان اللئيم ، لقعوده عن الحرب . القُعْدُد : القريب النسب من الجـد الاكبر : قعد منه : اقترب منه . القُعْدُد : البعيـد النسب عن الجد الاكبر . قعد عنه : ابتعد عنه .

٢١ – قلص – « قلص » : قصر ، قلّ ، ضوى . وقلص : جمّ ، كثر ، ارتفع ، قلّ ، كان خفيفاً .

هذا الفعل ، بمعناه الاول ، مشتق من الثنائي « قص » : قطع . وبالفحوى الثاني ، من « قل » خف ، ومن ثم : علا .

٢٢ – لطع – « لطع » : محا . ولطع : أثبت . في الحال الاول هو آت من « طعْ » : لحَسَ . وفي الثاني ، من لطْ : الصق .

٢٣ – نصب – « نصب » : رفع . ونصب : وضع . الاول من « نبْ ونبا » . النبو والنبوة : المرتفع من الارض . نبأ : ارتفع . او صادر من « نصْ » . ارتفع . بالمعنى الثاني ، هو آت من « صبّ » : كبّ : وضع بالانزال .

٢٤ – انصت – « انصت » : سكت . انصت : اسكت غيره . كلاهما من « صت » : فعّ ، منع ، صدّ . ليس هناك من ضدية . لانه في الاول تمنع النفس من الكلام ، وفي الثاني يصد الغير عن التكلم .

٢٥ – هجد – « هجد » : نام . وهجد : سهر . الاول من « هد ، هدأ » : سكن . والثاني من « جدّ » اي جهد ، لمـا في السهر من الاجتهاد في منع النوم

٢٦ – هلَب – « هلب » نتف . وهلِب : كثر شعره . وهلب : بلّ بالندى . الاول من « هبْ » : قطع . الثاني من « لبْ » : تراكب ، تلبد . الثالث من « هل » : مطر . الهلوب : المرأة المتدانية من بعلها . من « لب » لازَم . الهلوب : المرأة المتقاصية عن بعلها : من « هبْ » : قطع . الأهلب : الذي لا شعر عليه . من « هبْ » : قطع . الاهلب : الغزير الشعر . من « لبْ » : تلبد ، تجمع .

٢٧ – همد – « همد » همدت النار : طفئت وخمدت . همدت اصواتهم : سكنت . اهمـد القوم في المكان : اقاموا . همد القومُ : ماتوا . مصدر « همد » ، بهذه الفحاوي ، الثنائي « هدْ ، هدأ » : سكن ، قرّ . « همد » شجر الارض : بلي وذهب . وهمد الثوب : تقطع . من « هدْ » : هدم . اهمد فلان في السير : أسرع . من الثنائي « مدّ » : سال .

٢٨ – وثب – « وثب » : استوى قائماً . وثب : قعد . كلاهمـا من « ثبْ » تحرك . فالتحرك من الوقوف الى القعود : وثب ، والتحرك من القعود الى القيام : وثب .

٢٩ – شمل – « شمل » : غطّى ، عمّ ، غمر . الشمل : مجتمع العدد وتمامه . الشمل : ما تفرق من الامر . والشمل : ما اجتمع منه . يقال : فرق الله شملهم ، اي شتت ما اجتمع من امرهم . وجمع الله شملهم : اي لم ما تشتت من امرهم اصل الثلاثي هو الثنائي « شمْ » ارتفع اعلاه . و« شما » سما وعلا امره . فمـا يغطي ويعم ويغمر هو الذي يعلو ويرتفع على غيره ، كما تشمل الشملة البدن . والشملة كساء مخمل يشتمل به . « الشمل » ما يشمل العدد والامر ، اي يعمه فيكمله . ولذا امكن ان يقال : جمع الله شملهم ، اي عددهم الشامل ، وفرق الله شملهم ، اي مجتمع عددهم .

٣٠ – غبر – « غبر » ذهب وولى . وغبر : مكث وبقي . الاول من « غبْ وغاب » : بعد ، بان . والثاني من « غرّ » : صب . لان الماء مثلًا اذا صب في اناء بقي فيه .

٣١ – بيّض – « بيّض » الاناء والسقاء : ملأه . وبيضه : فرغه . الاصل الثنائي : « بض » بمعنى سال . اذ لملء القربة او الاناء يقتضي اسالة الماء او السائل فيها . ولتفريغها يلزم اسالة الماء او السائل منها .

٣٢ – مثل – « الماثل » : المنتصب . تماثل المريض : انتصب وتحسن . والماثل : الذاهب . « مثل » ، ذهب ، غاب صادر عن « مت » : سال ، رشح . و« مثل » انتصب ، من « متمت » : حرك .

٣٣ – غرض – « غرض » الاناء ، ملأه . وغرضه : نقصه عن الملء . الاول من « غرّ » ادخل . والثاني من غض « غضّ » ، وغضغض الماء . وغيره نقصه .

٣٤ – « الضمد » : الرطب والضمد : اليبس ، الضمد : خيار الغنم . والضمد : رذالها . الضمد ، بمعنى الرطب ، مشتق من « مَدْ » لان الرطوبة تبلّ وتليّن . وبدلالة خيار الغنم ، من « مدْ » ايضاً . لان هذه الخرفان الحسنة هي السمينة الممتدة الاعضاء . « الضمد » المراد به اليبس صادر عن «ضم» لان اليابس تتضامّ ذراته وتتقلص . وكذلك « الضَمد » المطلق على رذال الغنم . لان مثل هذه الضأن تكون ضامرة متقلصة الاعضاء لا لحم فيها .

٣٥ – حشحش – « حشحشوا » : تحركوا للنهوض . حشحشوا وتحشحشوا : تفرقوا . الحشحشة : دخول القوم بعضهم في بعض . التوفيق بين الضدين سائغ بدليل ان « حش » يراد به الحركة . وهذه الفكرة ثابتة في التفرق . لان في التفرق حركة . والفكرة عينهـا داخلة في التجمع والتداخل ، لان في ذلك حركة ايضاً .

٣٦ – ذرب – « ذربت » معدته : فسدت . ذربت معدته : صلحت . بالمعنى الاول « ذرب » صادر من « ذبّ » : هزل ، ذوى ، جفّ من العطش ، مما يحصل عنه الفساد والمرض . وبالمدلول الثاني ، هذا الفعل آت من « ذرّ » البقل والنبات ، اذا طلع وانتشر ، وذلك لقوته وصحته ، والا ذبل وذوى .

٣٧ – رتا – « رتا » : رمى ، ارخى . ورتا : شدّ ، قوى . الرتوة : العقدة الشديدة . والرتوة : العقدة المسترخية . « رتا » بمعنى الشدة ، من « رتّ » كان في لسانه عقـدة . والرتّ : الشديد الجرى ، من ذكور الخنازير . و« رتا » بمعنى الارتخاء آت من «رت» ومفخمه « رطْ » في « راط » في السريانية ، الدال على الاهتزاز ومن ثم على التراخي .

٣٨ – خفا – « خفا » لمع . وخفا : ظهر . خفى الشيء : كتمه . وخفى الشيء : استخرجه واظهره . « خفا » آت من « خَفَ » أسرع في السير . وفيه حركة . والحركة في اللمعان ، وفي الظهور ، وفي الخروج والاستخراج . وخفي : استتر وتوارى ، صادر عن « خف » تحرك . دليله ، كما ان الظهور هو حركة بالبروز من الداخل الى الخارج ، كذلك الاختفاء او الاستتـار والتواري متضمن حركة ، حركة الولوج من الخارج الى الداخل .

٣٩ – الجون – « الجون » اللون الابيض – والجون : الاسود في نظرنا ان هذه الكلمة من السريانية gawna ومعناها اللون من باب الاطلاق . فنقلت الى العربية ، بطريق التقييد ، فجاءت عند قبيل بدلالة اللون الابيض ، وعند فريق بفحوى اللون الاسود .

بهذه الوسيلة ، كما ظهر ، يمكن ازالة الضدية ، أي عن طريق الثنائية . وهكذا تضمحل شائبة من أسوء الشوائب في المعجمية العربية .

القدس — الاب مرمرجي الدومنكي

قصة

قام القطار

بقلم الآنسة جميلة العلايلي

لم يكد الفجر ينبثق حتى تنبهت الفتاة اذ لم تنم طوال الليل تحت تأثير قلق لازمها من تأثير انفعالات نفسية دفينة على ان طلعة وجه الفجر البديع انساها ما ألم بها من شجن الارق وخواطر السهاد وراحت تتأهب لاستقبال يومها الجديد .

هرعت الى النافذة تتأمل صفحة الافق وهو يرتدي ثوب الفجر البنفسجي المائل للزرقة المزدان بوشاح الجلال الرائق كأنه يتيه على الزمن بانه لمحة من لمحات الجنة . ولم تكد تطل من النافذة حتى جذب بصرها منظر جارتها العروس وهي تتبختر في غرفتها في بهجة وانشراح كأن السعادة حبتها بفرحة الابد من دون الناس جميعاً ، وزوجها الشيخ جالس قبالتها يتأملها في شغف ويبتسم في اطمئنان كأن الله انعم عليه بكنز الخلود .

وظلت الفتاة في موقفها تنقل بصرها من العروس الشابة الى الزوج العجوز وهي مأخوذة بسحر السعادة التي اكسبت كلاً منهما لوناً يفيض انساً ولطفاً ، ومرّ الوقت وهي لاهية بالتفكير في شأنها حتى خرج الزوج والعروس ترقبه من النافذة .

سألت الفتاة نفسها أتحبه الى هذا الحد ؟ وراحت العروس تشيعه ببسمتها حتى غاب !! .

وفجأة فتح في منزل بجوارها نافذة اطل منها شاب لم تكد العروس تراه حتى اقبلت عليه وحيته بايماءة خفيفة وكأنهما كانا على موعد وراحا يتخاطبان بالنظرات ويتفاهمان بالبسمات ويتناجيان بالاشارات وفهمت الفتاة كل شيء !!

وبدأت تفكر في هذا اللون العجيب من مآسي الحياة وهمت بان تصرخ في وجه العروس اتقي الله في الزوج . ولكن لوعتها خرست صراخ ضميرها فاختفت عساها تنسى ذلك المنظر المروع .

جلست على المائدة لتناول الافطار ، قال الاب : هيه — يا رونق — اليوم سيحضر الرجل لتحديد عقد القران فتهيأي لاستقباله ، واردفت الأم : ارتدي لباسك الجديد واعقب الاخ : ان ليلة القدر فتحت لاختي بقدم هذا الزوج العظيم .

وعاد الوالد يقول . رونق من فرط الفرح لا تتكلم . انا سعيد يا ابنتي .

ولم تكن الفتاة صامتة كما تبدو انما كانت تفكر ، أحقاً ما يقولون ليلة القدر فتحت لها . وفي خفة البرق مرّ بخاطرها صورة العروس الخادعة والزوج العجوز المخدوع .

واطرقت وهي تنظر اليهم واحداً إثر واحد من تحت اهدابها .

ووقف الوالد وهو يقول : سيحضر عصراً لا تنسي الاهتمام بزينتك وربت على كتفها في حنان ولكنها رفعت اليه بصرها في هدوء قائلة بصوت رزين . ولكني لا اريد هذا الزوج وارفض الاستجابة الى نداء ليلة القدر . فابتسم الوالد وقال في دعابة : أساءك ان اعلن فرحك ؟. واعقبت الوالدة : ابنتي خجولة .. على بركة الله . هيا . واردف الاخ : اختي تستحي من الخوض في هذا الحديث دائماً .

وتحرك الوالد لينصرف وهو يدمدم . طبعاً . طبعاً . ولكن الفتاة استوقفته وقالت بصوت ثائر : ابي ، صدقني ، لست هازلة . الموقف خطير ويتطلب صراحتي، اني ارفض هذا الزوج، لا اريد ان اكون خادعة او مخدوعة .. اقتلوني ان شئتم — حياتي ملك لكم — اما ان ابيع قلبي ونفسي لقاء جاه ومال لكي اعيش على مسرح الحياة الزوجية ممثلة فاني ارفض ذلك

كان صوتها متهدجاً رغم قوة نبراته وطابع الصدق باد في لهجتها . فجن جنون الوالد وصفعها على خدها وهو يقول : ستتزوجين ، هذه مشيئتي وانا أعرف بطريق سعادتك منك وخرج مسرعاً .

ورغم محاولة الام والاخ لتهدئة روعها وتسكين جأشها واقناعها فانها ظلت تعلن في عزم واصرار بانها لن تتزوج ولو اتيح لها جرأة تتيح لها الكلام لصرخت في وجوههم بما يخالج ذهنها .. انها تؤمن بانهم جميعاً انانيون يخلطون بين مطامعهم ومطامعها مع الفارق الهائل بينهم وبينها . انها تريد ان تقيم حياتها العائلية على دعائم التفاهم والطمأنينة والحب وهم يريدون حياة مادية لا صلة لها بما تريد وتشتهي . وقد يكون لهم العذر لان تفكيرهم اوسع

نطاقاً بعد ان اجتازوا من العمر مرحلة التجارب فكيف اذن يجمع بين مطـامع الشيوخ ومطامع الشباب ؟ كيف يجتمع الربيع والخريف في وقت واحد .. كلاهمـا يجب ان يؤدي ضريبة عمره .. لقد دفع الوالد الشيخ او الوالدة العجوز ضريبة الحكمة والمعرفة ولا بد للابن او الابنة كذلك من دفع هذه الضريبة .

على ان كلاً منهم يجهل ذلك !!..

تقول حكمة الشيوخ .. ان السعادة في توفير اسباب الحياة ويقول الشباب – لا – انها في انتعاش القلب ومسرة الروح .

وعادت الفتاة تقول في هدوء واعتداد بفكرتها ان تأكل معدتي اكثر من حاجتها ولن يتدثر جسمي باكثر من اردية، هبوني رجحت احترام الناس وتقديرهم للعظمة التي اكتسبتها فما الذي اربحه انا وهل يكفي المجد والثراء لاسعادي ؟ سيشعر الرجل دائماً انه اشتراني بماله وانني له عبدة عليّ حق الطاعة والخضوع – اتكلم بقدر اذا سمح لي واخرج اذا شاء وانام متى رغب واكون له امة مستسلمة ، ان خسارتي في هـذا الزواج اكثر من ربحي .. لذا ارفضه ولن ابيع حريتي الا لمن يعرف حقوقي كند له ورفيقة لها كرامة ، يسلمها قلبه قبل ان يسلمها ماله كي اشعر دائمـاً انني منحت لآخذ وخسرت لاربح واستبدلت قلبي وكياني بقلب آخر وكيان آخر فيعيش كل منا في نفس صاحبه . وتركتهم في مكانهم حيارى وهرعت الى مخدعها لتحول ثورتهـا الى دموع علها تهدأ .. ثم لم تلبث حتى هدأت روعها مصممة على تنفيذ خطة رسمتها ارادتها .

وخرجت مسرعة بعد ان استأذنت امها بدعوى انها في حاجة الرياضة ساعة كي تهدأ وكانت الام تعلم انهـا اذا خرجت وعادت زال عنها الكدر فلم تمانع .

ووقفت ترقب القطر غادية رائحة .. وفكرت .. واخيراً صح عزمها على السفر اتهرب من وجه هذا اليوم .. سيبحث عنها في المدينة لذا يجب ان تترك المدينة . وبدأت تفكر الى اين ؟

واسودت الدنيا في ناظريها وتجهم الوجود كأنه يعلن مخاصمتها – الى اين ؟ الى اين ؟ وكانت قد اقتربت من نافذة التذاكر فسألها الموظف : الى اين ؟ فاضطربت وقالت بشفتين مرتعشتين : الى اقرب بلد .

فعجب الموظف وارتاب في امرها ونظر اليها مشدوهاً ثم قال : قام القطار . وتركها في موقفها ومال على اذن رفيقه قائلاً : انظر يبدو انهـا هاربة . ولم تكد تسمع ذلك حتى اسرعت واختفت وراحت تعدو في الطريق وهي تغمغم : قام القطار ! اذن الى اين ؟

هل اعود الى اهلي ليبيعوني كما تباع الدواب ؟ أتغلق دوني المسالك ؟

قام القطار حقاً ولكن هناك مسالك اخرى هناك طرق متشعبة واسرعت الخطو كأن قوة جذب خفية توجهها نحو هدف مرموق

وجذب نظرها الشاطىء من بعيد فيممت وجهها شطره وهي ترقب الافق المترامي الابعاد والنيل الممتد على جانبي البلاد الجميلة العديدة والزوارق تعبره من هنا ومن هناك

وابتسمت لخاطر مرّ بذهنها وغمغمت قام القطار، وقالت لنفسها : ألا يصح ان يكون قام مبكراً ليحملني القدر على السير في طريق آخر اوفر حظاً وأصح اتجاها ؟ ورأت ملاحاً يقترب منها ويسألها حاجتها ؟ . فدلفت الى زورقه دون تفكير ولما قطع بها مرحلة من النهر قال الى أين ؟ فأجابت : – سر حتى اقول لك قف وجلست في نهاية الزورق تتأمل الافق آنا وصفحة الحياة احيانا وهي تفكر الى اين ؟

ولما قطع الملاح شوطا بعيدا توقف وهو يقول أتريدين الذهاب الى الشاطىء الثاني ام هي رياضة

قالت .. لا هذا ولا ذاك .. سر حتى دمياط فذعر الملاح وردد ، دمياط ، دمياط

قالت أجل ، ألا تستطيع ؟

قال ، المسافة بعيدة ويتحتم ان نعدّ لها العدة

والتفت خلفه كأنه يقيس المسافة بنظره وأردف .. ثم اني لم أخبر زوجي

وشعرت الفتاة بمس من الحنان الخالص كهرب أعصابها عندما ذكر زوجه في هدوء وحنان وعذوبة فاكبرته وقالت ، معقول كان يجب أن اصارحك لتتهيأ للرحيل ولكن هب انك اضطررت للرحيل بغتة الا تغفر لك زوجك ما دامت واثقة منك فاعتدل الملاح وقد البسته الطبيعة حلة الفلسفة الفطرية السليمة وقال :

الثقة لا تلد نفسها يا سيدتي انما المعاملة هي التي تولدها وتحييها او تميتها فكيف أضع بين يديها بواعث الوساوس والاوهام واطالبها بالثقة والاطمئنان .. ولماذا أتصرف تصرفاً يقلقها وفي وسعي ان أحرص على هدوئها ودعتها ، قد اربح من هذه الرحلة مالا اوفر مما لو قنعت بعملي اليوم هنا .. ولكن ساخسر ثقة زوجي طوال العمر

فقاطعته ولكن عملك

قال : المرأة تفضل ان تجوع وتطمئن على زوجها من ان تقلق

وتأكل أشهى الاطعمة

قالت : الى حد على ما اظن

قال : انك لا تعرفين زوجي انها تقنع بأبسط ظواهر الحياة ما دامت مطمئنة بجواري واحمد الله على ذلك ،اذا نريد من الحياة غير الصحة وراحة الضمير وطمأنينة القلب والرضى بما قسم لنا

فقاطعته : هب ان ثروة طائلة عرضت عليك ،مقابل ان تتنحى عن زوجك

فقاطعها : معاذ الله . ولو كان مال قارون

قالت : وهي الا تطمع ان تكون ثريا

قال : ما فكرنا في ذلك قط . انها ترفض ان اعمل اكثر من ساعات عملي لقاء اجر اكثر ..

قالت : ومطالب الاولاد في ازدياد .

قال : ان الله الذي يخلقهم لا ينساهم .

قالت : اعتقد لو انك تذوقت نعيم الاغنياء لرفضت هذه الحياة .

قال : وهل بقي في صدري متسع لتذوق هذا النعيم .. انه عامر بالايمان والقناعة وحب زوجي واولادي والحمد لله ..

فتنهدت وغمغمت .. بارك الله في هذه الحياة .. وعاد الملاح يقول بلغته العامية (والواحد ياستي بيشوف حاجات تشيب الراجل يبقى ساير مراته في البيت حاوه وشريفه وبيجي هنا جايب واحده زي الزفت بيحبها وواحده تخلي جوزها يروح الشغل وتجي هنا مع حبيبها عيشه كلها خيانة وخداع عشان كده ما فيهاش بركة الحرب دى غضب من ربنا ما عدش في الدنيا خير ولا شرف)

ورفع وجهه للسماء واعقب (يا رب استرنا لازم نرجع بقى ياستي) وحوّل المجذاف ليعود .

ولزما الصمت .. هو يستغفر ويطلب من الله الستر والرحمة وهي تقارن بين حياة وحياة حياة المترفين الذين يبسطون ارجلهم على مقاعد من الذهب ولا يقنعون وبين حياة الذين لا يملكون غير قوت يومهم ويقنعون .

اوشك النهار ان ينصرم ولم تستطع ان تجد لها مخرجا .. اذن يجب ان تعود ولتكن مشيئة الله !

رد حديث الملاح اليها هدوءها ورشدها وخافت ان تظن بها الظنون ان غابت يوما او بعض ايام دون علم اهلها فوجدت القتال في النهار من اجل كرامتها افضل وانبل من القتال خفية .

ودخلت بيتها في حذر وسكون فترامى اليها صوت امها تخاطب والدها .. خذها بالرفق واللين وعندما ترى هدايا الرجل الثمينة سوف تخضع واترك له فرصة ليستميل قلبها اليه فابنتك شديدة المراس عنيدة .

آمنت الفتاة بعد ان عادت وفكرت في هدوء انها تسير في الحياة وفق منهج رسمته يد القدر ولا حيلة لها غير الخضوع والتسليم .

فتنهدت وغمغمت - لتكن مشيئة الله ! ! .. ليس لها هدف خاص تعيش من اجله وليس امامها ضوء عاطفي تسير على شعاعه فلترضى بما قسم لها الله .

وجاء الزوج المنتظر وكانت الام هيأت العروس لاستقباله . كانت اشبه بدمية يغزو النظر مظهرها ولكنه لا يلمس خفق فؤادها ، وهل لها فؤاد يخفق حتى تسمع همساته ..

وطوّق الخطيب العنق بقلادة ماسية والمعصم بسوار ماسي ووضع في الاصبع الخاتم الذي يحمل اسمه والخاتم الماسي الذي يعلن من وهج شعاعه قيمته وندرته ، ثم قبل اليد والجبين .

انتفضت العروس عندما قبلها كأن قطعة من الثلج اثلجت فؤادها وقلصت نبضاتها ولم تشعر بالفرحة التي تواتي العروس في مثل هذا المقام بل سكرت بأنها في حاجة الى شيء آخر ؟ في حاجة الى حرارة وانتعاش ؟ في حاجة الى شيء تجهله ولا تدرك كنهه وإن كانت تشعر تماما بأنها في حاجة ماسة اليه ! ! . . .

وخرج الاهل وتركوها معه - عن عمد - .. ولم يكد الخطيب يشعر بخلو المكان الا منها حتى تقدم منها قائلا : - أنا جد سعيد فهل أنت كذلك .

فأطرقت ولم تجب وما عساها تقول؟ أتعترف له بخبيئة صدرها؟ أتقول له لا ؟ .. أتوضح له حقيقة مشاعرها وحاجتها الى شيء آخر يشعرها بالدفء والحنان وظن الخطيب ان الخجل هو الذي يخرس لسانها ويشل منطقها فعاد يقول .. ما رأيك في هذه الحلى ؟ ان كانت لا تروقك فأنا مستعد لانتقاء ما يروقك ؟ فأجابته دون ان ترفع وجهها او تلقي نظرة على حليها شكرا لك ولا أظنني استطيع انتقاء ما هو أحسن من هذا ! . وتكلفت بسمة الرضاء كان دونها عذابا حنونا يخرج الشوق من مكمنه فارتاح الخطيب لها وأقبل عليها وراح يحدثها في شأن مستقبلها وما أعده لها من بواعث السعادة والرفاهية .. حتى تأثرت الفتاة ، تأثرت اذ لم يكن هناك ما يشغل تفكيرها ويملأ فراغ قلبها وما دامت هذه هي الحياة المقدرة عليها فلتقنع بها .

*

يقولون انها أسعد زوجة وأن زوجها لا يدخر وسعاً في توفير

أسباب الراحة والرفاهية وهي تعرف ذلك وتقدره وتقوم على خدمة زوجها ورعايته كما يرجو .

قد تشعر أحيانا بحاجتها الى ذلك الاحساس الذي يبعث في صدرها حرارة تشعرها بحياة غير هذه الحياة التي تحياها متشابهة مملة .. لطالما تبرمت بهذه الحياة ولكن زوجها كان يراها بما يغمرها اياه من هدايا ومنح .. ولم تكن تعرف ناحية من نواحي التفكير لتجدد حياتها .. فالزوج الذي يعتمد على ايراده الوفير فاذا خرج بعض ساعات عاد اليها مسرعاً وهو قلما يخرج وقلما يتركها وحدها .

زوج عاطل وامرأة عاطلة .. لا عمل لهما غير تناول الطعام وارتياد الملاهي والسينما والنوم والراحة ..

ادارة البيت في يد الخدم وادارة المزرعة في يد الموظفين وكلاهما يعيش ليملأ حياة الاخر بقدر ما يستطيع، لكنها حياة جافة خاوية . لذا كان من الطبيعي أن تطالب الطبيعة المغمورة بنصيبها ....

وهكذا بدأت عاطفة كل منها تطلب الري والتغذية ..

وكلاهما يشعر بنقص في أعماقه وحاجته الى شيء يتمم هذا المنقوص ...

وبدأت الزوجة تسأم تلك الحياة المملة المتشابهة وبدأ الزوج كذلك يشاركها هذا السأم على ان كلا منهما يظن الوحشة والخلو في نفسه لم يدر الزوج انه باعث هذا السأم لركود ذهنه وخمود تفكيره ولم تدر الزوجة انها باعث هذا السأم ايضا لاعتيادها على حياة الترف وعدم محاولتها التجديد والابتداع .

سمع الزوج من صديق له ان زوجة فلان تجيد فنّ التصوير وأنها تحلق في بيتها من آن لآن دنيا جديدة من براعة فنها . وذهب مع صديقه لزيارة مرسمها بدعوة من زوجها ... فشعر بجو غريب فاتن فيه سحر وفيه بهجة فأدرك ان المرأة يعوزها اشياء غير اجادة الطهي والزينة وتربية الاولاد وبدأ ينظر لزوجه بعين جديدة فاذا بها لا تمتاز على الخادمة الجاهلة بشيء رغم ما نالته من التعليم والمعرفة وبدأ يفكر في أمر يخفيه .

وصحب زوجه مرة لزيارة صديق له ليحضرا عيد ميلاد ابنته ... ورأت الزوجة زوجها على غير ما عهدته لا يطري رشاقة المرأة وجمالها .. بل يتحدث عن أشياء اخرى لم تكن تلفت نظره من قبل ... كان يتحدث عن ذكاء المرأة وخفة روحها وكيف تؤنس بحديثها وتطرب بمواهبها فلم يعد يلفت نظره غير المرأة الفنانة .

ولكنها لم تفقه كنه هذا التغيير ولم تعره اي اهتمام ومع انه التفت بكليته الى احدى الحسان المدعوات وراح يتحدث اليها في شبه همس بعيدا عن زوجه فانها لم تكترث او تأبه له لعلمها ان وجدانه لا يتحرك ..

ومرت الايام تباعاً . وعلى غير ارتقاب فاجأها باعتزامه السفر لامر هام .

ولاول مرة يسافر وحده ويكتم عنها بواعث سفره فلم تأبه اذ كانت تفكر في الجنين الذي بدأ يتحرك بين احشائها وولدها البكر المريض وايقنت انه يخشى عليها من متاعب السفر . ودّعها وخرج ليسافر .

ولم يكد ينصرف حتى اتصلت بها صديقته تليفونيا لتخبرها ان زوجها عقد قرانه ليلة امس على ابنة فلان وانه سيسافر في قطار الظهر معها ليقضيا شهر العسل في استانبول .

صعقت الزوجة ولولا ثقتها بصديقتها لكذبت الخبر .

وارتدت ملابسها لتفاجئه قبل قيام القطار ولكنها فضلت ان تلقاهما في القطار ...

وأسرعت وذهبت .. ولم تكد تصل الى المحطة حتى سمعت صفير القطار ..

وقال السائق . لم يعد أمل . قام القطار وعندما عادت الى المنزل وجدت رسولاً من قبله ينتظرها ليسلمها ورقة الطلاق

المصورة **جميلة العلايلي**

جمال الحب

◆

لأنون – عن الانكليزية بتصرف

●

لست أهوى ذلك الجمال :
جبين بلوري باهت كالقمر ،
ويد بيضاء كالثلج ،
وشعر ذهبي : كشعور بنات البحر !

*

لا تحدثيني عن عينيك المتألقتين !
وشفتيك اللتين تغذيها الورود !
ونهديك ، حيث يرقد« كيوبيد» مضطرباً ،
نشوان في تقبيل مرقده !

*

وجنتان ، وردتان ناضرتان ،
كوجنتي إلهة الشباب ،
وأنفاس تنطق بموسيقى ،
أعذب من أنغام الازاهير المتغازلة ،
عند ما تهب عليها نسائم الصيف !

*

ليست هذه الا رونق خلاب !
فما هي الشفاه ؟
أليست مرجاناً في أعماق المحيط ،
يتهالك عليه المخاطرون ،
وينحدرون الى أعماق هاوية سحيقة ؟ !

*

وما هي الوجنات ؟
أليست أعلاماً تلوح للشباب الفائر
في ساحات الدم ؟

*

تلتهب العيون بالغيرة العمياء .
وينشق الحبيب السم ، بعد أن كان
ينشق عبير الانفاس ! ؟
كم من الايدي البيض ،
حملت القبر لقلوب الاحياء
كي تواريها في التراب الفاني ؟ !

*

ان الجباه البلورية لا تحتوي غير
الكبرياء الفارغة !
امنحيني قلباً رقيقاً أثق باغرائه ،
وعقلاً حكيماً أثق بمقدرته
امنحيني قلباً : اسكب فيه أسرار قلبي
المعذب ، وأخبئها في أعماقه ،
كما تخبىء النحلة وزوزتها في قلب الوردة !

*

ان عزاء قلبي الوحيد على هذه الارض ،
ذلك الحب الابدي الجامح ،
فاذا طار قلبي الى السماء ، لن يستطيع قلبها
البقاء ، بل يقفز عطفاً وحناناً .

بغداد – مرتضى شرارة

التعبير الموسيقي وعلاج الامراض النفسية

بقلم ابو مدين الشافعي

ماجستير في علم النفس من جامعة فؤاد الاول



لا توجد مستشفيات للامراض النفسية في بلاد المغرب ، لذلك يلجأ الاهالي الى ربط المصابين في صحتهم العقلية بجوار ضريح والي من الاولياء المعتقد فيهم الصلاح والبركة . وكثيراً ما تعزف انواع من الموسيقى الاندلسية القديمة في هذه الاضرحة تقربا الى الوالي . ويلاحظ ان الكثيرين من المرضى يشفون من مرضهم في هذا الجو المشبع بالالحان ولا ننسى ان الاهالي يعتقدون ان اطعام هؤلاء المرضى عبادة فيوفر لهم بهذه العقيدة غذاء كاف متنوع – ونشاهد ايضا من جهة اخرى ان الجيوش المتنقلة فطنت الى حيلة تطرد بها التعب عن الجنود وتستطيع تشجيعهم على السير بعد التعب الشديد باستعمال الموسيقى والالحان .

وبجانب هاتين الملاحظتين لا يجب ان ننسى الاهمية التي احتفظت بها الموسيقى في كل مجتمع ونلاحظ انها وان كانت تختلف من بيئة الى بيئة ومن جيل الى جيل فانها لا تفقد اي شيء من قيمتها ومن تأثيرها على النفوس .. ووجدناها تلعب اهم دور في مساعدة النفوس على الخشوع والدخول الى النفس للتمتع بلذة عقيدة تربط الشخص بمجتمعه فيرى في ذلك اتصالا بقوة روحية مجردة وينسى المادة والجسم ليسبح في عالم غير محدود ولانهائي .

نستطيع اذاً ان نقول ان للموسيقى تعبيراً يؤدي تأثيراً بعيدا ابعد من التأثير الجسمي المادي فلعالم المسموعات حقيقة تحاول ادراكها كما ان عالم المرئيات يحاول بعلومه الطبيعية وفنونه الهندسية والرسمية ان يصل الى حقيقة اساسية . نلاحظ ان التعبير الموسيقي يتراوح في تطوره الموازي لتطور نشاط البيئة العام بين التقطع الخشن وبين الاتصال المستمر . فالموسيقى البدائية دائما متقطعة قوامها ضربات الطبل او هي عبارة عن مزمار متصل الصوت متشابه . واما الموسيقى الراقية فانها تستطيع ان تعبر عن الانحناء لا التقطع ولا الاتصال المتشابه

والغريب ان الانسان وجد – ولا يزال دائماً يجد – صعوبة في تمثيل المنحنى الطبيعي ، لقد حار الحفارون والرسامون في تمثيل انحناءات الملابس او غيرها من الاشياء التي ليست متقطعة تقطعا صارما ولا متصلة اتصال المستقيم – ويحار الاطفال في المدارس عندما يطلب منهم رسم تلة او اي شيء له جوانب منحنية . وهذا العجز موجود في كل نفس وتحقيقه او مشاهدته محقق عندما يحدث راحة في النفوس . فاننا نضطرب عندما نسمع لحنا يعبر لنا عن تموجات اصوات بخلاف الصوت المتشابه المتصل الذي يحدث قلقاً وضجرا وكلنا جرب نفسه في هذه الحالة عندما يكون بجوار سيارة امتد صوت منبهها . وتزيد قيمة التأثير في النفس واحداث الشعور بالراحة اذا تفنن الموسيقار في التعبير وجعل الحانا كثيرة التداخل ويحتفظ كل لحن باستقلاله ومن هنا كانت قيمة السنفونية – واستطاع اعلام الموسيقى مثل بتهوفن وموزار وفاجنر وغيرهم من المؤلفين الكبار في الموسيقى ان يقربوا من الحقيقة الموسيقية بشتى الطرق ويجعلوا السامع يشعر براحة نفسية تمتعوا بها عندما ادخلتها لهم حالات نفسية داخلية او اصوات داخلية حاولوا تصويرها او تصوير شعورهم عند سماعها

وما علينا الا ان نلاحظ انفسنا عندما نكون تحت تأثير موسيقى لها تعبير نفسي واسع فان القطع الموسيقية تستخرج لنا

الحالات الشعورية المكبوتة التي لم تجد فرصة للظهور بوسيلة خارجية .

وانا نلاحظ ان سامع الموسيقى المعبرة عن حالات شعورية لا يستطيع احضار تلك الحالات والشعور بها الا اذا وضع نفسه في مواقف تستدعي تلك الحالات الشعورية التي توحيها الموسيقى من حزن او فرح . حب او حقد . واذا كان للنوم فائدة كبرى في حل العقدة النفسية كوسيلة للتحليل النفسي . لا شك ان التعبير الموسيقي النفسي يصعب ادراكه على بعض الناس ولكن للتمرين اثره ويمكن استعماله للوصول الى تحليل اي نفس — والتحليل النفسي بواسطة الموسيقى يكون اسهل من اي طريقة اخرى — خصوصا طريقة الاسئلة التي تعرض الشخص الى التأثر بواسطة الايحاء — ونعقد حالة المريض بان نوجه ذهنه بالايحاء الى امراض لم يعرفها من قبل .

تتبعت في فصل الدراسة - حالة طباخ كان في ازمة نفسية من جراء حب متبادل بينه وبين سيدة ممرضة . ودام هذا الحب عشر سنوات رغم ابعاد السيدة عنه طيلة هذه المدة — وبعد رجوعها كان الطباخ متزوجا وصاحب عائلة كبيرة . ورغم ذلك كان يشعر بحبها وكانت ترغمه دائما على ايجاد حل لمشكلتها فهي غير مسموح لها ان تتزوج كما ان قيوده الاجتماعية كانت دائما تعوقه عن التفكير في هذا الموضوع . . ولم اتدخل جدياً في محاولة حل هذه المشكلة الا بعد ما اوشكت العقدة النفسية ان تنقلب اجتماعية في صورة جريمة - واذا كان التحليل النفسي يقتضي شرح حالة المرض وتعليلها فان ذلك كان مستحيلاً مع الطباخ لجهله ومع السيدة لقوة ايمانها بحبها وباخذ حقها من الحياة . ويئست من السيدة واصررت على تتبع حالة الطباخ — وكثر تردده علي خصوصاً في الاوقات التي يشعر فيها بضعف مع الميل الى اشباع رغبات الحب الشديد وقد اتفق ان زارني مرة في حالة من حالاته الانفعالية وكنت اثناء سماع قطعة شوبير المسماة بالليلية (Nocturne) وكانت دهشتي كبيرة اثناء عزف القطعة اذ لاحظت انتباه زائري واتجاه ذهنه نحو الموسيقى التي كنت متجهاً اليها - وزادت دهشتي عندما اخبرني في آخر القطعة بانه شعر بشيء من الراحة -- وحاولت ان اسمعه بعد ذلك قطعا اخرى مع شيء من التوجيه كلما جاءني في حالة انفعال . . واستطاع ان يتخيل وان يتصور اثناء السماع صوراً تظهر في صورة احلام اليقظة ولا شك ان ذلك يحدث الراحة باخراج الحالات اللاشعورية المكبوتة .

واستعملت هذه الطريقة مع عدد كبير من اصدقائي ولاحظت اثراً بليغا للموسيقى المتصلة التي لا يكون الايقاع فيها بارزا وانما يكون هناك لحن متصل كاساس وكأرضية لاصوات اخرى في صورة الحان تبرز من حين لحين وهذا هو اساس السنفونيات التي شبهوها تشبيهاً رقيقـا بتخطيطات النقش العربي عـلى الجدران (arabesque) فاننا نجد دائماً هذه النقوش والرسوم التي تمثلهـا خطوطا متصلة في رسم شكل متكرر يتخلل رسوماً اخرى متغيرة ، وتستطيع الموسيقى في اقرب وقت واقصره ان تقدم لنا تموجات صوتية بعضها متصل يشعرنا بجريان الشعور المتصل والتغييرات وتدفع عنا السأم الذي قد يحدثه هذا الشعور بالوحدة والاتصال .

فالموسيقى اذاً حيلة اخترعها الانسان ليحقق لنفسه بيئة متجددة وكل الامراض النفسية ووقوفها . عندما يقع الانسان في المنخولية يشعر بسأم شديد وكأنه في غرفة لم يتجدد هواؤها من مدة طويلة وفي الغالب يقف المصاب بمرض نفسي عند فكرة واحدة تسيطر على ذهنه فلا يستطيع الالتفات الى غيرها وتصرفه عن الانتباه الى ما حوله فيعيش في الداخل سجين حالة شعورية معينة — كما ان حالة النوم الشديدة تكون خطيرة ما دام الشخص عاجزاً عن ابعاد ذهنه وشعوره عن خطته وطالما كانت فكرة خطته حاضرة في ذهنه فانه يكون في الم شديد .

وهكذا نجد ان الناس بتجاربهم اليومية ادركوا بعض الحقائق ويحاول بعضهم مساعدة البعض بالتسلية طمعاً في احداث النسيان وليس النسيان غير بعد الافكار التي كانت ماثلة امام الشعور عن بؤرة الشعور الضيقة ولكن يمكن لحالات شعورية جديدة ان تظهر ما دامت حالة شعورية معينة واقفة . وقد يتعذر عـلى الحالات الشعورية الجديدة ابعاد الحالة الشعورية الواقفة فعندئذ تكون الموسيقى الوسيلة المهمة لاحداث الحركة الطبيعية للنفس — وبذلك تمر الحالات الشعورية امام الشعور كما تمر مناظر الفلم السينمائي امام عدسة آلة الاسقاط . وبذلك يمكن حل ما يمكن ان يوقف جريان الشعور وتخليص النفس من العقد .

وبذلك تكون الموسيقى قادرة على حل العقد القديمة الناشئة عن حالات لا شعورية مكبوتة كما انها قادرة على ابعاد الحالات الشعورية المسيطرة على الشعور والمعطلة للانتباه الذي هو اسـاس الحياة النفسية . . ومن بين الامراض النفسية الاجتماعية الخطيرة نجد الاجرام والميل الى ايذاء الغير فهذه الحـالة راجعة في اغلب

الأحوال الى الشعور بالنقص وعدم الثقة بالنفس مع استعداد استظهاري عند الشخص ، يحاول هذا ان يعوض هذا النقص بالقيام باعمال تلفت النظر كما هو واضح لدى الاطفـال الذين يقومون ببعض الاعمال العنيفة التي لا غاية لهـا الا التدمير والاتلاف . فالاجرام واللعب العنيف عند الطفل سببه اضطراب النشاط النفسي في اتجاهه الذي يصير غير خاضع الى غاية معينة مثل التكيف مع البيئة وان اي منبه يحدث انطلاق النشاط يتجه دائماً لاشباع غرض واحد وهو اخفاء الشعور بالنقص باثبات القدرة الشخصية التي تشعر الشخص بثقته بنفسه . وفكرة الشعور بالنقص مسيطرة على الشخص لا تترك له فرصة الرجوع الى النفس ليمكنه ان يحيا حيـاة نفسية متنوعة وهذا العجز عن الرجوع الى النفس هو الذي يجعله غير قادر على اطالة مرحلة اختبار العمل ويتسلط على التنفيذ وكثير من الناس يصابون بضعف في المرحلة الاولى . ويختارون اعمالا مضرة للغير وفي بعض الاحيان فانها تكون مضرة بانفسهم او باي عزيز لديهم . . هكذا كانت سيدة تأتي الى الدكتور جورج دوماس وتشكو له من ان افكاراً غريبة تتسلط عليها وان نفسها تحدثها بقتل ابنها . وكثير من الناس يكونون واقفين في مكان عال مشرف على هوة فتحدثهم أنفسهم بان يلقوا بانفسهم منه - ويستغربون هذه الافكار ويقفون عند ذلك غير واصلين الى التنفيذ .

فهذه الحالة تساعدنا على فهم موقف المجرم الذي لا يستطيع الوقوف عند الاختيار ليحكم عليه لينفذ او لا ينفذ فهو مصاب في نفسه بحيث ان افكاراً غريبة تغلب عليه ولكنهم لا يستطيعون توجيه النشاط توجيها يلائم بين الفكرة الداخلية والموقف الخارجي - وتراه يندفع الى تنفيذ اول فكرة تخطر على ذهنه -

ولعل (القارئ) تساءل عما يمكن للموسيقى ان تقوم به في هذا الميدان المعقد - ؟ . والحقيقة انه من السهل فهم اثر الموسيقى في الحالات الاجرامية بصفتها حالات نفسية فان الالحان الموزونة تعود الاذن وبالتالي الحالات الشعورية على الخضوع الى بيئة منسجمة لا اضطراب فيها ويستطيع الشخص بذلك تتبع حالاته الشعورية الداخلية التي قد توحيها اليه الموسيقى . ومجرد الرجوع الى النفس والمقدرة على الوقوف على بعض الحالات الشعورية تفيد المريض المجرم افادة كبرى ويمكنها ان تؤدي به الى مقدرة التوفيق ليقوم بالاختيار وليفكر في نتيجة العمل الذي سيقوم به ويستطيع بعد ذلك ان يصير قادرا على توجيه نشاطه حسب ما يتطلبه الموقف وما يتفق مع العرف والقانون . وبهذا نرى ان القانون والتهديد لا يفيد في المريض لانه لا يجهل تلك العواقب ولكنه دائما يكون عاجزا عن التكيف مع اي شيء . ويكون مدفوعا الى التنفيذ في حالة « جنونية » او مرضية .

كما ان الموسيقى كما اشرت تستطيع ابعاد سيطرة حالة الشعور بالنقص ويستطيع الشخص بذلك التخلص من عدم الثقة بالنفس التي هي السبب الرئيسي في اندفاعه ليثبت للناس ولنفسه ان له قيمة - وقد خاطرت مرة مع مجرم شعرت بسوء نيته نحوي فما كان مني الا ان اظهرت له اخلاصاً حقيقياً ووضعت فيه كل ثقتي وقدمت له كل ما كان معي من نقود وكانت دهشتي كبيرة اذ رايته يخلص لي كما اخلصت له ويخدمني خدمة كبرى ويعترف لي بنواياه السيئة قائلا كنت اريد ان آخذ منك هذه النقود وما معك من اشياء ثمينة . ولكنك لم تترك لي رغبة في ذلك بثقتك في واني لا آخذ الا بالحيلة او القوة لاشعر بلذة الغلبة واني الان لمسرور اذ اجد في الناس من يثق بي وانا لم اعرف منذ ولدت ثقة احد في ، ووالدي كان اكبر الناس احتياطا مني . وكانت والدتي تخفي عني الفاكهة فكنت اسرقها وتعلمت السرقة وكنت اسرق البلح من المنزل ولا آكل البلح من الحقول وكان مباحا لي . وكنت اصطحب هذا المجرم معي في مطعم تعزف فيه الموسيقى في المساء وكان يتلذذ بسماعها ويكفيني ان اقول ان هذا المجرم عاهدني الا يعود الى وظيفته الدنيئة القديمة . والفضل في ذلك راجع الى الثقة بالنفس التي لا يمكن ان تأتي الا من معرفة الشخص لنفسه والتأمل فيها والموسيقى احسن وسيلة لتحقيق هذه المهمة الضرورية للحياة النفسية السليمة .

القاهرة — ابو مدين الشافعي





الربيع



بقلم حسن زكريا

آية الحياة هي الاحتفال بالحياة .. الاحتفال بمباهج الحياة ومشاهدها الغراء الضاحكة . والاحتفال بالحياة لا يعني سوى الالتفات الى جميع مظاهر الجمال والانسجام والروعة فيما خلقت الطبيعة وما ابدع الانسان ، والتمعن فيها بتلهف ونهم والتطلع اليها بشوق واعجاب ، والانغمار في صميمها باندفاع الطروب ونشوة الحالم .

وليس الاحتفال بالحيـاة بالمهمة اليسيرة او المنهج المعبد ، فلو استطاع الناس ان يحتفلوا بالحياة كما يجب، اذن لوفروا على نفوسهم كثيراً من الآلام والنكد والشقاء . والواقع ان قليلا من الناس فقط، من توفق الى تحقيق ذلك، فاستطاع ان يوثق الصلة بين نفسه وبين مظاهر الجمال في الطبيعة والفن. واذا كانت الاكثرية الناس لم تقم بما يحتمه عليها الاحتفال بالحياة من فروض ، فليسوا هم المسؤولين عن هذا القصور في غالب الاحوال ، فالظروف المادية التي يعيشون في ظلالها تقسرهم على هذا النقص وتدفعهم اليه. وانه ليس من شك في ان الجمهرة الغالبة من الناس هنا وهناك قد علقت نفوسها بالتراب وبقضايا التراب، فلا تفكر ساعة، وهي تدرج فيه كالديدان، ان تشخص بابصارها الى اعلى وان تجيلها فيما حولها من آفاق بعيدة، وليس من شك ايضاً في ان تعلق الجمهرة الغالبة من الناس بقضـايا التراب ، لا يرجع في اصله الا الى نمط العيش الذي فرض عليهم . فان الظروف الاقتصادية السيئة وتوابعها قد جعلت من اغلب الناس — في اغلب المجتمعات عبيد لما يصح ان يطلق عليه بـ « اللقمة » . فصار عليهم ان يقدموا جميع ما في طاقتهم من جهد قرباناً الى معبد«اللقمة» وان ينحروا ما يختلج في نفوسهم من عاطفة رفيعة او فكر منطلق، ان كان ثمة مجال لتلك النفوس المجدبة ، نفوس عبيد « اللقمة » ، ان تختلج بالعاطفة الرفيعة او الفكر المنطلق،فداء لهذا الصنم الاخرس، وما يفرضه من كفاح مستديم في سبيل ملء البطون واكساء الابدان. هذا وما لم يجد الناس لانفسهم سبيلا للتحرر من عبودية « اللقمة » والحصول على قدر واف من الثقافة الصحيحة والتوجيه الحق ، فلن يستطيعوا الاحتفال بالحياة،ولن يتوصلوا الى استجلاء وجهها الرحب المتهلل،غير الوجه المقطب الممسوخ الذي يطالبونه اليوم صباح مساء.

ان من البشائر المفرحة ، ان الناس هنا وهناك بدأوا يتململون حانقين على الاطواق التي تحول بينهم وبين التمتع بالوان الحيـاة العليا ، ويشعرون بالرغبة تمرج في نفوسهم للانطلاق من جحور المادة الضيقة الداكنة المنتنة ، الى الافاق الواسعة التي تزهو بجمال الطبيعة الطبيعية ومتع العيش وروائع الفن . وهذا يعني ، بداهة ، انهم بدأوا يدركون — خصوصاً في هذه الفترة العاصفة من الحرب —

ما يعتور حياتهم من قصور واسفاف وما يحيط بهامن عقم واجداب وما تؤول اليه اتعابهم من ضياع . لقد بدأوا يحسون، لحسن الحظ، طعم المرارة في الكأس الذي يصبحون عليها ويغبقون . وليس بعيداً ذلك اليوم الميمون التي يبلغ الناس فيه كفاية من الجرأة والقوة والعزم ، فيكسروا تلك الكؤوس النتنة ، الواحدة تلو الاخرى، ويرشقوها في وجوه الغاشمين الذين فرضوها عليهم فرضاً وابقوا لانفسهم ما طاب منها مذاقاً وعبق رائحة وزهى منظراً .

انهم عند ذلك سيقبلون على الحياة اقبالاً لم يعرفوه من قبل : يعبون من ينابيعها السائغة عباً ، ويسعون الى تنقيتها من الاوشاب والاكدار ويتساءون بها الى مراتب اجمل واسعد .

*

هذه الخواطر اثارتها في ذهني جولةلي في الربيع، فيهذا المعرض الطبيعي الرائع . ولا عجب فالطبيعة في الربيع اشبه ما تكون بالفنان الذي يحرص على عرض اروع ما رسمت ريشته وابعثها على الاعجاب . ان الربيع آية من آيات الطبيعة بل هو آيتها الكبرى ، وهو في طليعة ما يجدر الالتفات اليه والاحتفال به من مظاهر الجمال في الحياة .

لكأن الزمن قد ولد في الربيع ، فجعله عيداً له منذ الاول . فصارت كلما حلت ذكرى الميلاد ، تقيم له الطبيعة هذا الموكب الجميل المثقل بانواع الزينة والعطور .

كان يوماً من ايام نيسان،انطلقت فيه عند الاصيل، الى ضاحية من ضواحي المدينة اختارها الربيع مسرحاًومقاماً، فالقى فيها رحله، كما تلقي فرقة من الغجر رحلها في مكان ما لتعرض للناس رقصها وموسيقاها وغناءها .

وكانت الجوقة ، جوقة الربيع التي لا تدانيها جوقة اخرى في كثرة العازفين ، تعزف لوداع الشمس الراحلة لحناً شجياً فيه من لهفة الوداع ولوعة الحنين رنات وتأوهات . . .

ومن عجب ان ترى الجميع مشتركين في العزف والانشاد : كل له دور يؤديه او حركة يقوم بها . . . حتى الضفادع كانت تنقنق مسحورة وهي تتأمل حسنها في صفحة الماء ! . بل حتى الهوام التي يكاد لا يتبينها النظر ، كانت تسبح في الهواء ، تعلو فيه ثم تهبط كما يشاء لها الهوى وهي تهس هساً خفيفاً . وكانت الشقائق الحمر تميل باعناقها الدقيقة ذات الطول الفارع على وقع اللحن الخافت، والسنابل الخضر تستجيب لمداعبات النسيم بايماءات لطيفة جذلة ، والخزامى تتطلع في خفر من مخابئها خلال الزرع والاعشاب النامية، يوشي بها شذاها العطر وكانت الطيور الداكنة الصغيرة تحوم في الفضاء النشوان مسحورة بما ترى وتسمع . حتى البعوض ، هذه الكائنات الممقوتة ، كم كانت جموعه آنذاك حبيبة الى النفس ، برقصاتها الايقاعية الرشيقة .

حقاً ، لقد كان اصيلا رائعاً يخدر النفس تخديراً عذباً ويبعث فيها النشوة والحلم والخيال الفني .

لم يكن ثم غير السلام والحب والجمال مندمجة مع بعضها في عناق شهي . كانت الطبيعة هنا تعرض انقى ما لديها واروع كما لو كانت على موعد مع عشيق عزيز ، او في محفل من محافل مسابقات الجمال .

وانك لتحس وانت بين احضان الربيع،انك قريب الى الطبيعة، بل اقرب اليها من اي وقت مضى . ان الطبيعة التي تزعجك في الصيف بانفاسها الحارة الثقيلة فتهرب منها وتنأى عن انظارها، والتي يفعمك منها في الخريف وجومها واصفرارها ، والتي تقاسي منها في الشتاء عصفات ريحها القارس ويروعك وعدها الغاضب ويقلقك وجهها الباكي العبوس ، لتهادنك عندما يقبل الربيع وتلقي عن وجهها القناع العابس الذي يروعك، ولتطلع عليك بوجه متهلل وابتسامات عريضة وطباع كاكرم ما تكون الطباع والطف، فاتحة لك ذراعيها تدعوك الى نفسها في اغراء قوي ، وانت لا تملك الا ان تقبل عليها وتلقي بنفسك في احضانها وتمرح على صدرها الجميل وتنتشي بشذاها العبق وهمساتها العذبة .

اني اذ اتطلع الى سماء الربيع ، واشهد قزعات الغيم البيض ، وهي تزحف بتكاسل حالم من افق الى افق ، احس ان في رأسي شبيهاً بتلك الغيوم السارحة ، غيوم من الخواطر فوضوية لا انسجام يجمع بينها . وهي لا تظهر في احدى آفاق فكري ، حتى تزحف على عجل، كأنما وراءها ما يطاردها فتبتغي الا يفوز بها، ثم سرعان ما تتلاشى عند الافق وتغيب فيه ، لتعقبها غيوم فكرية اخرى ، يلفظها الافق الواحد ثم يبتلعها الافق الاخر ، على هيئة متوالية محيرة .

لقد كنت نشوان بالربيع، فنسيت فيه الماضي والحاضر والمستقبل، ونسيت اهم من ذلك ، تلك الصور الشنيعة التي ما ينفك يرسمها

الاديب

*

– لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها من شهر كانون الثاني (يناير) .

– تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي :

في سوريا ولبنان : ١٢ ليرة لبنانية .

في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ما يعادلها ترسل حوالة بريدية دولية او حوالة على مصرف في بيروت

في فرنسا وتوابعها : ١٦ ليرة لبنانية

– الادارة غير مسؤولة عن الاعداد التي تفقد في البريد

– احتفظت الادارة ببعض اجزاء السنة الاولى والثانية والثالثة فمن شاء من هذه الاجزاء فليطلبها وثمن الجزء من السنة الاولى ليرتان ومن السنة الثانية ليرة ونصف ومن السنة الثالثة ليرة .

– تدفع الادارة ليرتين ثمن النسخة الواحدة من الجزء التاسع من السنة الاولى ١٩٤٢ ومن الجزء الاول والثاني والحادي عشر من السنة الثانية ١٩٤٣ ومن الجزء الثالث والحادي عشر من السنة الثالثة ١٩٤٤ ومن الجزء الثاني من السنة الرابعة ١٩٤٥

– المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر .

★

ادارة الاديب : شارع الاحرار ، غربي ساحة الدباس

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب
سكرتير التحرير : بهيج عثمان
المدير الفني : مختار شملي

◆

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب – صندوق البريد رقم ٨٧٨ بيروت – لبنان

الخيال لهذه الحرب المروعة ، ولكن هذا النسيان لم يدم كثيراً ، فسرعان ما تنبهت الى جهة التناقض بين مشهد الربيع المنبسط امام انظاري وبين مشهد الحرب النابي المنبسط في خيالي فصحوت من حلم جميل ، وغاضت من نفسي نشوة لذيذة ، وتحولت افكاري الى مجرى جديد .

والحق ان ليس ثمة من تناقض صارخ كالذي كان بين منظر الربيع آنذاك : عالم الطبيعة ، يروي عينيك منه السلام والشباب والجمال وبين منظر المجتمع : عالم الانسان، يروع فكرك منه القتال والخراب والدموع والدماء . ان مثل هذا التناقض ليشعل في نفس الواحد السخط على قوى الشر من بني الانسان « حراس الظلام » ويثير فيها التمرد على الانظمة الخرقاء التي امحلت حياة الناس ، اكثرية الناس . وحالت دون ان تكون ربيعاً ثانياً يواكب الربيع الطبيعي ويتسق معه ، ربيعاً من طراز جديد ، مستديماً ، من دون صيف او خريف او شتاء .

على ان مما يروّح عن هذا الشعور الممض، هو اليقين بان الناس، وهم في هذه الغمرة من الشتاء المتجهم الطلعة الثقيل الظل العاصف الارجاء ، لم ينسوا ان يحلموا بالربيع ، بالربيع الاجتماعي الذي لا ريب فيه – بل ان بعضهم قد حازوا بالفعل طور الاحلام وعبروا في الطليعة تخوم الشتاء واحتضنتهم انوار آذار .

ان الانسانية المعذبة ، لا زالت منذ الاف السنين تحلم بالربيع منذ عرفت قساوة العيش وظلم الانظمة وتعسف الاهواء ، على انها لم تكن اقرب الى الربيع الذي ترتقب مما هي الآن .

ولعل هذه الحرب ، ستكون عصفة الاوج من عصفات الشتاء واللحن الختامي من « سنفونية » الشقاء الانساني . فلنهيء انفسنا لاستقبال الربيع الجديد ... الربيع الذي سقت تربته دموع الاجيال واخصبتها دماء الملايين . وعندما يأتي الربيع، ستتفتح نفوس الناس الى النور مثلما تتفتح البراعم، ثم تورق وتزهر، ثم تتعانق مع بعضها كما تتعانق الاغصان ، يؤلف ما بينها الوئام والشعور الموحد بالحياة الجديدة الآمنة الهانئة ، ويسودها جو مسحور من الجمال والسمو والسلام .

وبعد يا لسمو الحياة عندما يأتي الربيع ...

الموصل — محمد زكريا

الفن التمثيلي عندنا

★

بقلم سليم اللوزي

رئيس قسم التمثيليات في محطة الشرق الادنى للاذاعة العربية

الفن التمثيلي عندنا لا يزالُ يقومُ على الذوق والاستقراء، لا على القواعد والاصول، والسبب في ذلك يرجع الى عدة عوامل اهمها: جدّة هذا الفن في الشرق العربي، فهو لا يزال طفلاً لايتجاوز عمره قرناً واحداً، أخذناه عن الغرب في منتصف القرن الماضي متأثرين بحضارتهم واوجه نشاطهم الثقافي والفني.

واذا كان الطفل عادة، يقضي مدة طويلة – في اول حياته – قبل ان يحبو ويتدرج، ويتخلص من اللثغة والمشي على الاربع، هكذا كان الفن التمثيلي عندنا، مضت عليه مدة طويلة قبل ان يفتح عينيه وتتحرك شفتاه ويتخلص من اللثغة والحبو على الاربع، ولهذا علينا ان نقول: ان الفن التمثيلي عندنا قد بدأ نموه فعلاً منذ عشرين سنة فقط...

واذا نحن قلبنا النظر في تراثنا العربي عجبنا العجب كله ان لا نرى بين ايدينا اثراً للفن التمثيلي، وهذا يدعو الى العجب حقاً – وانا لا يمكنني الجزم بان العرب لم يعرفوا الفن التمثيلي ففي قصص شهر زاد تلميح لهذا الفن، ولكن الذي استطيع ان ارجحه ان العرب بالرغم من تأثرهم بالحضارة اليونانية وحضارة الفرس والروم، اقول بالرغم من ذلك فبذرة الفن التمثيلي لم تجد عندهم ارضاً صالحة...

والبحث في الاسباب يحتاج الى حديث طويل، وانما اردت ان اعرّج على هذه النقطة لاخرج بحقيقة يجدر بنا اعتبارها وهي ان الفن التمثيلي اعتبر في اول الامر بدعة من البدع الغريبة، فحورب واضطهد القائمون به وتعرضوا الكثير من الاهانة وكثير من العنت وكثير من الازدراء؛ وهذه المحنة التي اصابت الفن التمثيلي وهو لا يزال ناشئاً كانت جديرة بالقضاء عليه، وفعلاً فقد حدّت كثيراً من نشاطه ونجحت في ابعاد العناصر الطيبة المنتجة عن العمل فيه، وافسحت المجال لبعض الجهلاء والمرتزقة من العامة، فكانت النتيجة، هذه المهازل التي لا يزال اكثرها يفرض نفسه علينا في المسرح والسينما، والتي يتحتم القضاء عليها والخلاص من ربقتها.

ويتحتم على القائمين بالفن التمثيلي عندنا ان يعملوا بنصيحة الكاتب المسرحي: «شيللر» التي وجهها الى المسرح الاوروبي في وقت من اوقات ازماته، إذ قال: «على المسرح ان يناضل اليوم ضد الجمود وضد الخمود وضد انعدام المواهب وعقلية الشعب المبتذلة.... على المسرح ان يلهب القلوب ويهذب العقول ويتحمل الأذى والازدراء ويتقبل النقد والتجريح وان لا يعوقه شيء ابداً عن السير في سبيله، فيعمل على تنمية المواهب الفنية وتربية ذوق «الجماهير وتحريرها من الابتذال الفني بتقديم مسرحيات ترضي الفن وتخدم المجتمع.»

وقبل ان اذهب بعيداً مع صاحبنا «شيللر» أود ان احدد البحث خيفة الشطوح عنه والابتعاد عن الاساس قبل تحديده، فأتساءل: ما هي اركان الفن التمثيلي؟»

الجواب محدد علماً واجتهاداً – على حد التعبير القانوني – فنويل كوارد – الكاتب المسرحي الانكليزي يقول: التمثيلية تقوم على ثلاثة عوامل رئيسية، هي:

اولاً موضوع التمثيلية، ويدخل في هذا العامل، العرض والحوار والسبك وعقدة الرواية.

ثانياً: – الاخراج.

ثالثاً: – الاداء او التمثيل.

غير ان رومان رولان – الناقد المسرحي يزيد على هذه العوامل

الثلاثة عاملًا آخر ، هو الموسيقي .

وعلى كل فالاثنان لا يختلفان في الاساس ، ونحن لن نختلف معهما في التحديد ، وان نكن – مضطرين بحكم الواقع عندنا – ان نتبنى تحديد كوارد ، ليتسنى لنا تركيز اهتمامنا في كتابة الرواية والاخراج والاداء ، فنحشر الموسيقي في اختصاص المخرج – وآمل ان يكون ذلك موقتاً والى زمن قصير .....

لنستعرض هذه الاركان التي يتألف منها الفن التمثيلي عندنا ، فماذا نجد ؟

نتناول اولاً : كتابة التمثيليـات ، فأتساءل : هل عندنا روايات تمثيلية ترضي الفن وترضينا ؟

أقر ان الجواب مخجل ، فليس بين ايدينـا غير الروايات المترجمة او الروايات التي عمد الى كتابتها انصاف المثقفين الذين فرضوا انفسهم على الفن التمثيلي ، فالتأليف التمثيلي يكاد يكون معدوماً ، الا من بعض الروايات والمسرحيات التي كتبها الاستاذان توفيق الحكيم ومحمود تيمور وغيرهما ، ومع ذلك نجد ان هـذه الروايات والمسرحيات لا تصلح للمسرح ولا للمذياع واني اشك في صلاحيتها للسينما ايضاً ، والسبب في ذلك يرجع الى ضعف الثقافة الفنية عند الجمهور العربي من جهة ، ومن جهة أخرى الى اعتماد هذين الكاتبين على المذهب الايحائي (Suggestion) في الكتابة .

والجمهور الشرقي -- كما قال احد النقاد المسرحيين – لا يتذوق هذا الاتجاه الفني ، بحكم مزاجه العام بل ولا يستطيع ان يفهمه ، ... بل إنه يرى فيه ضرباً يخالف المعقول ، ذلك لانه جمهور غير مثقف في اغلبيته تثقيفاً فنياً كاملًا .....

والاستاذ توفيق الحكيم ، قد أقرّ بذلك في مقدمة كتابه « بجماليون » فقال : إنه لا يكتب المسرح ، او بعبارة اخرى عندما يكتب مسرحياته لا يفكر في المسرح ، ورواياته التمثيلية التي كتبها لا تنجح على المسرح ، فالجمهور يطلب ان يكون الصراع في الرواية بين المحسوسات كأن يكون بين الكره والبغض ، او الصفح والانتقام والحب والواجب والشرف والثأر ، بينما يجعل الاستاذ الحكيم صراعه بين الزمان والمكان مثلًا ، فالمفاجأة المسرحية المعبرة عن كلمة «Coup de théâtre» لا تقوم في روايات الحكيم بين المحسوسات انما هي مفاجأة ذهنية »

كذلك مسرحيات محمود تيمور ، وهي لا تتعدى الست ، من هذا النوع – واذا نحن رجعنا الى مقدمة كتابه الموكب وابو شوشة التي كتبها الاستاذ زكي طليمات ، اتأكد لنا ذلك ...

ولكني لا اشك ابداً ان توفيق الحكيم ومحمود تيمور قـد افادانا كثيراً ، فطريقة حوارهما واخصها الاستاذ الحكيم – يمكن ان تكون لنا مثالاً نحتذي به في التأليف التمثيلي ، فهي سهلة بسيطة ، خالية من كل تكلف ومفهومة .....

وقد يكون هناك بعض الكتاب الذين عمدوا اخيراً الى التأليف المسرحي ، ولكنهم لا يزالون يعدون على الاصابع ، وانتاجهم لا يزال في دور التجربة .

ولا اريد ان يفهم من قولي : إنني أبخس الكتّاب المسرحيين حقوقهم ، ولا انني أضن على الروايات المترجمة عن اللغات الاجنبية بالتقدير ، انما اوضح رأيي فأقول : لما كانت الروايات الموضوعة في لغة اجنبية تعتمد على خصائص اللغة وعقلية الجمهور الذي وضعت الرواية بلغته وعاداته ومزاجه ، فمن الصعب ان تنقل رواية كما هي من لغة الى لغة أخرى دون ان تفقد الكثير من روعتها .

وحالة الكتّاب المسرحيين تتمثل في قصة انقلها لكم عن احد المخرجين المصريين : قصها عليّ من باب التورية والاستشهاد والتسلية .

قال صاحبنا : ذهب احدهم ليودّع صديقاً له يريد السفر في القطار ، فلما وصل الصديقان الى المحطة كان القطار قد تحرك ، فأخذا يركضان وراءه حتى استطاع احدهما ادراكه فركب فيه وظل الآخر يركض حتى اذا تعب وقف ينظر الى القطار حيث وقف صديقه يلوّح له بمنديله مودعاً فأخذ يضحك بل ويستغرق في الضحك .

وشاهده أحد الحضور ، فاستغرب ضحكه وسأله : – لمَ تضحك يا رجل ؟ هل جننت ؟ اجابه الآخر – او تحسب الضحك جنونا ؟

قال – انت تضحكُ بلا داع ولا سبب .

فاجابه – يا ذكي .... إن صديقي الذي ركب القطار قد حضر ليودعني وانا الذي يريد السفر ، فكان ان نسي نفسه فركب هو وتركني هنا ...

وهكذا جرى عندنا – فقطار الفن التمثيلي عندما مر بنا – لاسباب عديدة – قد ركبه هؤلاء العامة الذين كان عليهم ان يظلوا على الرصيف وتخلف عنه الذين كان عليهم ركوبه . فعلينا ان نبعد هؤلاء المرتزقة الذين نسوا انفسهم واصبحوا يعتقدون أنهم فرسان الساعة لنفسح المجال لاصحاب المواهب الذين لا يزالون يضحكون منهم في الزوايا ....

واذا كان لا بد لهؤلاء ان يتركوا زواياهم اخيراً ، بعـد ان

شبعوا من الضحك ، فقد حان الوقت ، وحق للمهزلة التمثيلية عندنا ان تلقي ستارها على فصلها الاخير ٠٠٠

وتلاحظ اليوم حركة مباركة في مختلف الاقطار العربية ترمي الى التأليف التمثيلي ، والفضل في هذا يرجع الى السينما بدون ريب ، فعلى هؤلاء الكتاب ان يعملوا ويكتبوا للمسرح والراديو كما يعملون ويكتبون للسينما ٠٠٠٠ عليهم ان ينتجوا روايات للشعب تتفق مع صوت هذا الفن الجديد الذي اخذ يعلو في الشرق العربي مبشراً بنهضة جديدة وعهد جديد ٠٠٠

لقد انتهيت منذ مدة من قراءة كتاب بعنوان «المسرح الشعبي» لرومان رولان ٠ ورولان يقول في مقدمة كتابه : انه مجموعة مقالات انتقادية كان كتبها في سبيل اقامة مسرح شعبي في فرنسا والتخلص من المسرحيات المكتوبة لطبقة خاصة هي الطبقة الارستقراطية ٠٠٠٠ ففرنسا كانت تشكو من ان الفن التمثيلي بعيد عن ذوق الجمهور وهو خاص بالطبقة الراقية الحاكمة ، فالروايات المسرحية كانت لا تعالج غير صورة الحياة الارستقراطية فراح يدعو هو واصحابه الى اقامة مسرح شعبي او بعبارة اوضح كان الاهتمام متجهاً الى انزال الفن التمثيلي من منصة الارستقراطية الى منصة المجتمع على اختلاف طبقاته » ٠

وكان لا بد لي بعد ان انتهيتُ من قراءة كتابه ان افكر في تمثيلياتنا ، فوجدت ان داءنا هو عكس دائهم القديم ٠٠٠ فنحن نشكو من التمثيليات المبتذلة وكانوا هم يشكون من التمثيليات الارستقراطية الرفيعة ، ولكن رولان اشار الى هذه الناحية فقال : ان الفن التمثيلي يجب ان لا يكون فناً مبتذلا ولا ان يكون فناً رفيعاً لا يفهمه الشعب ، ففي كلتا الحالتين نسيء الى الفن والمجتمع وفي كلتا الحالتين نبتعد كل البعد عن رسالة الفن التمثيلي ٠ واننا لنجد في كتاب رولان هذا حلولا ممتازة يمكننا الاستفادة منها في تطهير وسطنا التمثيلي ، وأهمها ما قاله في فصل من فصوله :

على المؤلفين ان يكتبوا روايات شعبية تعالج المشاكل الاجتماعية بشكل فني ، على ان تحتفظ دائماً بالطابع الشعبي ، فنكون بذلك ارضينا الفن والجمهور معاً ٠٠٠ فعلى المؤلفين اولا والممثلين والمخرجين اخيراً ان يقدموا للجماهير روايات تمثيلية «راقية» ونعوده على الحسن منها لتربي له ذوقاً فنياً يمكنه بعدئذ ان يفرق بين التمثيليات الرخيصة والتمثيليات الفنية الممتازة » ٠

وجمهورنا قد بدأ يستيقظ وعلينا ان نقدم له ادباً تمثيلياً ممتازاً يتفق مع يقظته ويساير نشاطه ويعجل في تثقيفه ، والا خسرناه وربحه الفن الغربي ٠٠

الركن الثاني لبنيان الفن التمثيلي هو الاخراج : — ٠٠٠٠

والاخراج — له مذاهب عديدة متبعة في اوروبا ، اهمها ثلاثة : المذهب الواقعي Rèalisme والمذهب الايحائي Suggestion والمذهب الرمزي Symbolisme ٠

ولكننا — مع الاسف — لا نزال نعتبر الاخراج المسرحي امراً ثانوياً ٠٠٠ اما في السينما فيتبع المخرجون في مصر المذهب الواقعي — ومع ان الاخراج السينمائي لا يزال عندنا مشوهاً فهو يسير في طريق الاتقان ٠٠٠٠ بينما الاخراج المسرحي — باستثناء بعض المسارح المصرية الراقية — لا تزال غير مهتمة بالاخراج اهتماماً جدياً ٠٠٠٠ فاذا قلت يجب علينا ان نوفق بين المذهب الواقعي والمذهب الايحائي في الاخراج المسرحي وجب علينا ان ندرس اتجاه كل من هذه المذاهب ٠ ٠

اما كيف نوفق بعدئذ بين المذهبين فهذا مع صعوبته يحتاج الى ذوق المخرج واتقانه وابتكاراته وتفننه في اصول العرض والمناظر والحركة على المسرح ، ولا يسع المشتغل في الفن التمثيلي الا ان يأسف لعدم وجود مدرسة — كما هي الحال في اوروبا — للاعتناء بتدريس وتعليم كل ما يتعلق بتنظيم المسرحية وزخرفة المسرح وتنظيم الثياب وغير ذلك ٠٠٠

ولا يفوتني ان اذكر عامل الموسيقى في الاخراج — فهو عامل مهم في انجاح الرواية وبالاخص في الاخراج الميكرفوني والسينمائي والمسرحي على التتابع ، وعلى المخرجين المسرحيين عندنا ان يعترفوا بقيمة الموسيقى فيعطفوا عليها ويولوها بعض اهتمامهم ٠٠٠٠٠

واذا كانت الموسيقى عاملا قوياً في الاخراج السينمائي والمسرحي ، فهي أولُ ركن واهمُ ناحية في الاخراج الميكرفوني ٠٠٠ ، فالاخراج الميكرفوني يقتصر على نواح ثلاث : وهي : — على المخرج ان يمهل — بعد تأمين الرواية واختيارها — على وضع المسامع بشكل جذاب بديع ٠ ويختار في اول روايته شكلا تمثيلياً جذاباً يستطيع معه استجلاب المستمع واغرائه لسماع روايته مستعيناً بالموسيقى او بمفاجأة من موضوع الرواية او من مسمع من مسامعها ٠٠٠ (واستعملت هنا كلمة مسمع عوضاً عن كلمة المشهد المسرحي) ٠٠ وبعدئذ يختار ممثليه ٠٠٠

والتمثيل الميكرفوني ينحصر في صوت الممثل ، لذلك يجب ان يكون صوت هذا الممثل جذاباً واضحاً وطبيعياً ومؤثراً ، وعلى

المخرج هنا ان يختار ممثليه على ضوء هذه الاعتبارات ويوجههم في هذا السبيل ويطلعهم على الموسيقى ليتم الانسجام.

ولا شيء يفشل الرواية الميكرفونية اكثر من الصراخ والحركات الصاخبة حول المذياع فليحاول المخرجون الميكرفونيون ابعاد روح المسرح وتأثير المسرح على الممثل الميكرفوني ....

واقل تقصير من المخرج في اخراج مسامع الرواية او تدريب ممثليه على الاداء المتقن وسوء اختيار الموسيقى، تفشل الرواية فعليهم ان يدركوا الحقيقة الفنية المعروفة ويضعوها نصب اعينهم وهي ان الرواية وحدة لا تتجزأ وأقل تقصير او تشويه في اي ناحية من شأنه ان يسقط الرواية .

ولو كان المجال يتسع لنا للكتـابة عن الاخراج لاسهبت ، فنحن أحوجُ الى الحديث المطول عن امر لا توليه اكثر الفرق التي فرضت علينا أقل عناية ، فهي لا تزال تعتبر الاخراج شيئـاً ثانوياً ....

ولنتناول اخيراً : الركن الثالث في الفن التمثيلي وهو الاداء او التمثيل ......

مسكين هو التمثيل عندنا ، انه لا يزال عند اكثرهم صراخ وتصنع وعويل ... بل هو على حد تعبير - أحد الخبثـاء - شعوذة وتدجيل ....

فما السبب ؟

يقولون : - السبب في ان الذين اشتغـلوا في الفن التمثيلي كانوا جماعة من انصاف المثقفين ومن العوام فأساؤا الى الفن والى مجتمعهم والى انفسهم .

ويقولون : - السببُ هو اننا لم نكن لنعترف بالممثل ومـا كنا لنعطيه حقه ؟

ويقولون ايضاً : - ان الجمهور لا يفهمُ التمثيل الراقي المتقن ، فلمن نمثل ؟

هذه الاقوال قد ترمز الى شيء من الحقيقة والواقع ، ولكن السبب الاساسي هو اننا لم نقدر قيمة الفن التمثيلي في بادىء الامر ولم نعرف قيمته ومدى تأثيره الاجتماعي ... وككل شيء جديد لم نعرفه ولم نتعوده ، ضننا عليه بالعناية والتقدير اللذين يستحقهما... اما وقد بدأنا نستيقظ ونقدر .... واما وقد ركب القطار الفني هؤلاء الذين كان مفروضاً عليهم ان يكونوا بين الجمهور وتخلف الذين كان عليهم ان يركبوه ، فما علينا الا ان نبعد الاولين ونفسح المجال للآخرين .

ان الفن التمثيلي اصبح له في مجتمعنا صوت مسموع واصبحنا نشعر أن الممثل له اثر في حياتنا الاجتماعية بل له اثر كبير وبعيد المدى، واحسب انه لن يمضي وقت طويل حتى يصبح الممثل العربي مكانة لا تقل عن مكانة الممثل الفرنجي في بلاده ، وهذا يتوقف على عاملين متصلين كل الاتصال ببعضهما - اولاً رقي الفن التمثيلي - ثانياً : رقي المجتمع العربي .

اما كيف نرتفع بالفن التمثيلي الى مكانته الجديرة به ، فهذا يتوقف على اهليتنا واجتهادنا واخلاصنا .

علينا ان نعمل لهذا الفن كما نعملُ لغيره ، فعـلى الادباء ان يزودوا المسرح بروايات قوية تليق بسمعة الفن التمثيلي العربي وعلى المشتغلين في المسرح ان يهتموا بوضع الاصول والقواعـد الفنية فيراعوها ويطبقوها ، فيختص المخرجون اختصاصاً علمياً يقوم على الاصول والقواعد لا على التقليد والمحاكاة .... عـلى الممثل ان يضع امام عينيه هدفاً واحداً هو تزويدُ الجمهور بشيء رفيع من الحياة .

على الممثل ان يخلع عن نفسه ثوب الكذب - الذي كان يلبسه خجلاً - فيدعي انه هاو او ما اشبه ذلك من الكلمات ، فالفن التمثيلي لم يعد مودة وشعوذة ولا مسخرة ، انما هو صوت قوي لجيل جديد يريد ان يشق لنفسه طريقـاً الى الحيـاة الراقية والمجد الصحيح .....

علينا ان لا نضع امام انفسنا الا امراً واحداً هو خير الفن وخير الشعب ...

علينا ان نستوحي روح الجمهور الذي اخذ يستيقظ ونسلك الى نفسه سبلاً فنية تتلاءم مع عقليته ...

يجب علينا ان لا نغالي، فنجعل الفن التمثيلي بعيداً عن الشعب لا يحفل به وبروحه وذوقه بل ان نوجهه توجيها حسنـاً ونربي ذوقه ....

ان رسالة الفن التمثيلي بالنسبة الى الشعب هو ان يكون مناراً للهداية والثقافة والتعليم وبالنسبة الى الفن هو ان نرفع من قيمته ونعمل على ضوء المبادىء والاصول والطرق والاساليب والوسائل الفنية التي نضعها له .

علينا ان نبني فناً تمثيلياً جديداً صحيحاً لعالم جديد صحيح .

يافا سليم الاورفي



مرايا الناس

للسيدة وداد سكاكيني – ١٥٦ صفحة – لجنة النشر للجامعيين ، القاهرة

قرأته من ألفه الى يائه . لا لأنه مجموعة قصص ، كما اسماهـا الاديب القاص الكبير محمود تيمور بك ، في مقدمته له . ولا لانه مكتوب بلغة صحيحة مشرقة البيان جزلة التعابير ، كما نوه بذلك الاستاذ كرم ملحم كرم ، في مقدمة اخرى له ايضاً . ولا لانه من قلم اديبة لبنانية ، صيداوية المولد، بيروتية النشأة، كما يتبادر الى الذهن بالبداهة . بل قرأته من اوله الى آخره لان صاحبته هي الاديبة وداد سكاكيني .

فهذه السيدة من اديباتنا العصاميات العبقريات . وهي لا تكتفي بما يتيسر من زاد رخيص ، ولا بما يتوفر من محصول مستعار ، بل تبدأ، كما يبدأ كل انسان متكامل، لتصل بمحض ارادتها و كفاءتها الى الذروة . وانها في الطريق اليها .

وهذا كتابها الجديد « مرايا الناس » بالاضافة الى كتابها الاول «الخطرات» ، انه خطوة لا يمكن ان يقاس اتساعها بما بين الكتابين من فروق في العمر . ففي خـلال عشر سنوات تطورت وداد سكاكيني من متأدبة كاتبة مقالات الى اديبة .

ولست لأقول هذا رجماً بالغيب . ولكنها هي نفسها تقوله ايضاً فتؤرخ نشوء هذه الاديبة في قصتها « شقيقة نفسي » ، وتطلعنا بالتالي على صورة رائعة من صور التطور الرائع في شخص تلـك « الشقيقة » التي اسمتها « وئاما » . وهي ، هي وداد الاديبة بماضيها وحاضرها .

ولتعذرني السيدة سكاكيني اذا اكتفيت بهذا اللقب دون سواه مما يضاف اليه عادة ، للتكبير والتضخيم ، فيحط من قدره .

وانني واثق من ان هذا التطور لم يكن ليتم في غير اجواء الحرية والكرامة التي تخيرتها اديبتنا . لذا لا بد ان نجد وداد سكاكيني بعد اعوام – وربما بعد حين قد لا تتجاوز سنوه ارقام الاحاد -- تتبوأ في عالم الادب النسوي ما تبوأت مثله قبلها الاديبات الشهيرات في اوربا واميركا .

ويقيني ان الاديب ، او الاديبة عندنا ، اذا انفلت من قيود تكبل الفكر والقلب والجيب، واذا توافرت له ، او لها ، ما يتوافر لامثالها في بلاد الناس ، من حصانة الحرية بل الحريات كلها، ومناعة الاستقرار ، ورخاء العيش . واذا اطمأن الاديب عندنا ، او الاديبة ، الى كفالة الحكام ووعي الشعوب ، لم يحل دون بلوغه او بلوغهـا منزلة العالمية ، وسدرة الخلود الا ما حال بالامس دون بيوحنا فم الذهب الخطيب العظيم، او دون المتنبي الاديب الشاعر ، ودون ابي العلاء الفيلسوف المفكر . فنحن نحس في افواهنا طعم الفصاحة الآلهية ، ونرى بخيالنا اطياف عبقر السماوية ، ونستشعر في دمائنا الرغبة في الامجاد الارضية .

وانك لواجد اثراً من هذا وذاك وذلك في هذه المجموعة الطريفة من قصص وحكايات وصور ومقالات وألواح . وواجد اكثر من ذلك واروع .

انك واجد تاريخاً حياً لتطور المرأة ، والمرأة المسلمة بصورة خاصة . فكأنك اذ تقرأ هذا الكتاب واقف امام شريط سينمائي يستعرض لك ازياءها ، من الحجاب القديم – الملاءة اللف – بتعبير اخواتنا المصريين ، الى الحجاب الحديث – العامة – التوربان – الى . . . الفضلة الباقية من ذلك الطيب الذكر . . . على شكل تخطئه العيون غير الخبيرة .

وكل هذا باسلوب لا ينسيك ان من يتحدث اليك بهذه اللغة فوق العادية هي امرأة وام كاملتان .

وأصر على هذه الصفة . لاننا ، في ظلال المدنية التي هيأت لهذه الحرب والحرب السالفة ، قد افتقدنا المرأة في كل مكان ، وعدمنا الامهات – دون الوالدات – في كل مجتمع .

ومع هذا فاني اود ان لا أعفي الاديبة سكاكيني من بعض الملاحظات . فهي لا تستسيغ من الالفاظ الهين الشائع المشهور ، اذا دعيت الى الاختيار . فبين ألحان ولحون مثلاً تجدهـا تنتقي الثانية بملء الارتياح . وبين الرزق الوفير والرزق الرجيح تميل الى هذه الصفة بدافع من ايثارها غير المبتذل من الالفاظ على المتعارف القريب المنال .

ولعل حرص الاديبة على هذه الاناقة مستمد من الفطرة نفسها . ولا حيلة فيما هيأته الطبيعة واوجدته الحياة .

ولكنني اتساءل الآن : هل كانت أوزان الجموع المنوعة للدلالة على معنى واحد بعينه ، في حالتي القلة والكثرة ، ام كانت كالمترادفات مثلاً تؤدي في عرف اصحابها ألواناً من المعاني واشتاتاً من الصور ؟ واذا كان الجواب ايجاباً ، فهل من مصلحة اللغة العربية ان تظل على هذه الفوضى في الالفاظ ؟

ومن هنا انتقل الى الملاحظة الثانية وهي الفارق الكبير بين قيمة ما تمليه على اديبتنا عاطفتها ، كامرأة تتحسس وتصف وتقص ، وبين ما يمليه عليها عقلها كمفكرة تسعى لتطوير المجتمع او توجيه القاريء على الاقل .

وخير ما في الكتاب هو من النوع الاول دون جدال . « فالعانس ، وحظها المكتوب ، وخيتعور » من افضل ما قرأت في هذه المجموعة الطيبة . « وابو تراب ورشيد المولوي » من اضعف ما قرأت فيها ، لسبب بسيط وهو ان القطع الاولى من صميم حياة المرأة ، والقطعتين الاخريين من صميم حياة الرجل .

واليك انموذجاً من اسلوبها حينما تكتب بحافز من العاطفة : « فكانت كوثر تحس الامومة صارخة في غريزتها ، وتشم عبقها في اطفال الناس ... » (ص ٤٩)

واليك الان انموذجاً من ذلك الاسلوب حينما تنشيء بوحي العقل : « اما حمدي افندي فقد انتمى الى مولوية استامبول وكان في عنفوان شبابه غير انه لم يلبث في حماها زمناً طويلاً لانه لم يستطع ان يعلو الى مراتب السادة فيها الذين يأكلون الكتف المكتنزة باللحم ويرمون لمثله بالجلد والعظم (ص ٧٧) .

واخيراً ملاحظة ثالثة ارجو ان تتقبلها الاديبة والناشرون الافاضل على حد سواء ، تتناول الكم لا النوع . او هي على الاصح تنتقل من الكم الى النوع فالى سائر القيم كما ينتشر الزيت في الورق . فلو جعلنا عدد «القصص» عشراً او دون ذلك لما اضر الاختصار بقيمة الكتاب بل لزاده الضمور رفعة وأثراً .

وان كنت مع ذلك ارجو ان يقرأ هذا الكتاب كل من تعود تغذية نفسه بالمطالعة ، لانه واجد فيه لوناً جديداً ، نفتقر اليه في حياتنا العامة ، عنيت روح المرأة .

وانه لروح عظيم كريم .

رشاد المغربي دارغوث

نظرات في فلسفة العرب

للاستاذ جبور عبد النور — ٤٦٦ صفحة — منشورات دار المكشوف

خلال نهضة العرب الحديثة ، انصرفت عناية الباحثين الى درس جانب ليس باليسير من مشخصاتها ، والى درس جانب ليس دونه من مقوماتها .

وقادهم هذا الدرس وذاك ، الى ابتعاث التاريخ كضرورة كيانية ليس منها بد . فتناولوه على انحاء ، وجروا منه على طرائق ، واطافوا باشيائه في جهد ، وكان من هذا كله ما يؤلف حلقة عمل خيرة في مجهود البعث الكبير .

ولكن رغم ذلك ظل الفكر العربي في حاجة ماسة الى التأريخ ، على ما نفهم اليوم منه ومن اساليب كتابته .

وكان الانصراف عن تأريخ هذا الفكر بكل ما يستحقه من العناية والدقة عجيباً يدعو الى التساؤل ، وكان شراً ايضاً يدعو الى الارتياب بقيمته وكفاءته . وبالفعل كان من كثيرين التورط في نزغات هذا الارتياب الآثم ، وهكذا انتهى التقصير حيال هذا الفكر الخصب المديد عند نفر ، الى اتهامهم اياه بالقصور .

فكل ما نعرف من الكتابات العربية في الموضوع — تاريخ الفكر العربي لاسماعيل مظهر وتاريخ فلاسفة الاسلام في الشرق والغرب لمحمد لطفي جمعة وفجر الاسلام وضحاه لاحمد امين وكتاب ابن سينا لصليبا ومن افلاطون الى ابن سينا له ايضاً وتاريخ الفلسفة العربية للاب العنداري وكتاب الفارابي للاب الياس فرح وكتاب ابن سينا للاب بولس مسعد ومدخل الى الفلسفة الاسلامية للشيخ مصطفى باشا عبد الرازق وبضع مقالات متفرقات في الصحف الدورية — وهي كتابات وان تكن قيمة ، فليست لها اهمية علمية لانها لا تتعمق في مواضيعها كل التعمق ولا تتقيد باساليب البحث العلمي الصحيح .

ونعثر بين ذلك على جهد اكبر قيمة عند بعض الهنود ، مثل كتاب اعادة بناء الفكر في الاسلام للشاعر محمد اقبال ، ولكنها كتب دفاعية اكثر منها موضوعية

وكان من هذا التقصير ان مؤرخي الفلسفة لم يظهروا اهتماماً الا جزئياً بهذا الفكر وفلسفته ، ففي كتاب (وبر) الالماني — تاريخ الفلسفة — لا نجد الا هامشاً واحداً منكمشاً عن الفلسفة العربية ، وفي كتاب (ثللي) تاريخ الفلسفة لا نجد الا ست صفحات ، وفي كتاب (دي ولف) تاريخ الفلسفة في القرون الوسطى — وهو يقع في مجلدين — لا نجد الا ملحقاً صغيراً .

ولولا جهود فئة قليلة من غير العرب درست الفلسفة العربية عن طريق الاختصاص ، مثل المستشرق (ماكس هورتن) الذي عمد الى مصادر الفكر العربي فشرحها وعلق عليها الجاثاً قيمة ، اظل

هذا الفكر غامضاً شديد الغموض .

فليس اذن مايغتفر هذا التقصير حيال الفكر العربي من ابنائه ، لا سيما وان غرضنا من بعث التاريخ يتجه الى اظهار جوانب القيم الفكرية ، التي ارتسمت ورافقت اطوار الامة في مراحل ماضيها الطويل .

فجاء كتاب الاستاذ جبور في محله من الحاجة والضرورة . كما اتى كبير القيمة ايضاً بما وفر له من اسباب التحقيق ، ووسائل البحث المتفق واساليب المنهج العلمي الدقيق ، فادى بذلك خدمة قومية واخرى علمية تنجد تاريخ الفكر . والذي يشوقك خلال البحث والانتقال بين حلبات الموضوع ، ذلك المنحى التعليلي الذي سلكه برد النتائج الى مقدماتها والظاهرات الى اسبابها الحقيقية . فتشعر وانت تتقلب معه ، انه يسير بك سيراً طبيعيــاً جداً دون ظلع او توقل ...

وشاء في فصل العقلية العربية في الجاهلية ص ١٠ — ٧٢ ، ان يهدم الاعتبار الشائع الساذج الذي يأخذ الجاهلية على انها الفوضى الثائرة والجهل الفائر والفقر الوبيل ، فعرض للمجتمع الجاهلي ونظمه التشريعية والتنفيذية وما اجتمع فيه من قوى ومعنويات مهيأة للتعبئة والانطلاق ، وانما « كانت بحاجة الى قوة جامعة موحدة وروح عامة توفق بينها وتسيرها الى غاية معينة ، فكان الاسلام »ص١٣. واست تنتهي من هذا الفصل الا وقد استوى الجاهلي لديك في خلق آخر ، ومجتمعه في اندفاع بين يدي تقدمية صاعدة .

وفي فصل الترجمــات عن اليونانية ص ٧٠ - ١٢٠ ، يعرض الاسباب التي دعت الى الترجمة ويعرف باشهر النقلة ويعنى بتبيان منابع الفكر العربي ، فيفي بكل ذلك في يسر وسهولة .. وفي فصل الفرق الاسلامية ص ١٢٣ — ٢٤٦ ، يعرض اهم الفرق وما تميزت به من نظريات لاهوتية في الاكثر وآراء اجتماعية احيــاناً ، فيبسط معقدات البحث الكلامي ويحرك المصطلح الجامد بلبـاقة وتصرف ، فيحيا ويعايشنا . وفي فصل الفارابي ص ٢٥٠ — ٢٩٨ يوفق الى درس تحليلي عليه ، ليس مبالغة ان نعده من اندر الدراسات .. وكذلك نجده في فصل التصوف ص ٣٠٣ وابن عربي ص ٣٥٣ وابن الفارض ص ٣٧٨ .. واخيراً ينهي الكتــاب . وبالاحرى هذا القسم — بفصل عن المعري ص ٤٠٠ — ٤٦٣ ، فيجيء دراسة تفصيلية شاملة لحياة المعري وفلسفته . وقد انفرد الاستاذ المؤلف بتحقيق بكر عن منابع رسالة الغفران وجذورها الاولى ، واست اعرف سابقة له ... ومهما يكن من شيء فقد نجح الاستــاذ المؤلف ، حيث اخفق كثيرون ، واسدى صنيعاً مبروراً الى العربية والتاريخ .

عبدالله العلايلي

ما تيسر

للاستاذ خليل السكاكيني — الجزء الاول — القدس

ما أكثر ما نكتب عن مؤلفات اخواننا من ادباء الاقطــار الشقيقة ، وما اكثر ما نقرأ من مؤلفاتهم ! اما ادباؤنا في فلسطين وفي شرقي الاردن فليس لهم حظ من كتاباتنا واحاديثنا ، لا نقداً ولا تقريظاً ، فلهم الله مما يلاقون من اهمال ونسيان : اهمال ونسيان من اخوانهم ومواطنيهم ، واهمال ونسيان من غير مواطنيهم من ادباء الاقطار الشقيقة .

إنّ عندنا اليوم منهم لشرذمة كريمة نعتز بها ، ولكننا انصرفنا عن مؤلفاتهم ، وانصرفنا عن الحديث عن هذه المؤلفات ، وانما نعمل بقول الانجيل : « ليس لنبي كرامة في وطنه » . على اننا نسينــا ان الادب لا يمكن ان ينتعش ويزدهر في بلد وفي أمة بغير نقد ، واستمرار في الكتابة والتحدث عنه . فلنتحدث عن ادبائنا البارزين ، وليكن موضوع كلمة اليوم استاذنا الكبير خليل السكاكيني في كتابه : « ما تيسر » .

ان صديقنا الاستاذ « ابو سري » من اقدر المربين عندنا ، وأحبهم الينا . وهو مرب في المدرسة وفي البيت ، في مجــالسه الخاصة والعامة ، في كتبه التي يؤلفها لطلاب المدارس ، وفي مؤلفاته التي ينشرها بين المثقفين . هو مربٍّ لجلاسه ، كما هو مربٍّ لتلاميذه ولقرائه . والتربية في نظره — كما هي في نظر الواقع — تشمل الحياة كلها ، وتبدأ — كما يقول بعض المربين الايطاليين — من ساعة ولادة الانسان ، وتنتهي بعد وفاته بربع ساعة .

وهذا الذي نقوله عن استاذنا أبي سري هو اول مــا يواجه مطالع مؤلفاته كلها ، من « راس ، روس » الى « ما تيسر » . وفي الواقع لقد اضطلع الاستاذ الفاضل بهذه الرســالة الجليلة : « رسالة التربية » منذ صدر شبابه الى اليوم ، بل لعله كان في طليعة الذين اضطلعوا بها في الشرق العربي عن فهم وادراك صحيح لمعانيها وغاياتها السامية ، فوفق فيها اكبر توفيق . وهو ليس مربياً بلسانه وقلمه فقط ، بل بسيرته ايضاً . وهو يعالج التربية بأسلوبه الخاص : اسلوب الدعابة الحلوة ، والتعبير المرح . وهذا كتــابه الاخير « ما تيسر » اصدق دليل على ما نقول . خذ فصول الكتاب السبعة

عشر كلها واقرأها بامعان وروية ، تجد مصداق قولي في كل فصل منها . انك لتراه ساخراً مداعباً في كل ما يقول، ولكن وراء هذه الدعابة وتلك السخرية حكمة بالغة، ودرساً نافعاً، ورأياً رشيداً، وتوجيهاً صحيحاً ، وفي بعض الاحايين نقداً لاذعاً .

والاستاذ يكتب لا ليقول عنه قراؤه : « هذا كاتب كبير ، أو مؤلف عظيم »، فما يهمه ما يقول عنه القراء وغير القراء، ويتحدث لا ليقول عنه السامعون : « هذا محدّث بارع ، وخطيب مفوّه » ، فما يبالي رأي سامعه . ولكنه يكتب ويتحدث ليعطي قارئه وسامعه دروساً في التربية ، غير مأجور على هذه الدروس الغالية ، وغير منتظر شكراً من احد .

وقد تكون العبرة التي يقصدها ، او الدرس الذي يريده ، في عبارة واحدة من الفصل كله ، ولكنها لا تمر بغير ان يعلق منها شيء في ذهن قارئها ، ولو اختفت هذه العبارة بين عدد كبير من الاسطر .

الاستاذ يحب القوة ، ولكنه لا يريدها قوة « تعتدي » بل قوة تدفع كل اعتداء مقصود . وكلمات الاستاذ في حفلات كلية النهضة السنوية — وبعضها مدون في كتاب « ما تيسر » — اصدق شاهد على هذا .

واول ما يواجه القارىء ، تلك المقدمة القصيرة اللطيفة ، وهي تخالف ما اصطلح عليه المؤلفون من فنون المقدمات ، وهي نكتة حلوة ، ودعابة لطيفة . ثم تطلع « الكلمة الاولى » و « الكلمة الثانية » اللتان القاهما الاستاذ في الحفلتين الاولى والثانية السنويتين لكلية النهضة، فاذا هما فن جديد في الخطابة والدعابة، وفي التوجيه والنصيحة، واذا بالقارىء يضطر الى الوقوف عند كل عبارة «ليفكر» يفكر في هذا الخطيب الذي كأنما يداعب سامعيه في حلقة سمر ، ولكنه يحمل كل كلمة من المعاني ما لا تحتمل اكثر منه .

ثم يسير القارىء في مطالعة سائر فصول الكتاب مأخوذاً بهذه البساطة التي يكتب بها الاستاذ المؤلف : البساطة في التعبير ، وفي اختيار الالفاظ ، وفي مواضعها من الجمل . وهي بساطة لها جمالها الخاص .

وقبل أن امسح القلم من الكلام عن هذا الكتاب ، لا بد لي من الاشارة الى ان ما صدر الى اليوم من مؤلفات الاستاذ السكاكيني ليس باجمل ما عنده ، فهناك كنوز كثيرة ما تزال مسجونة في خزانة مكتبته ، وأهمها « مذكراته » التي ملأت بضعة دفاتر ضخمة . فهل أرجو الاستاذ ان يبدأ بنشرها خدمة للادب ، ولاطلاع محبيه على ألوان منه عجاب ؟

انني لأرجو ، وعسى ان يحقق الرجاء .

القدس عيسى ابراهيم الناعوري

١ — الحرية

مجموعة شعر للاستاذ يوسف الخال – ٩٨ صفحة
منشورات دار الكتاب – بيروت

وددت لو ان شاعرنا الخال ، لم يرهق مجموعته — الحية الرافلة بأخيال الحق — بمقدمة لها، ذلك انني كنت وما ازال عدو المقدمات في دواوين الشعر، وخير الف مرة للشاعر وللقارىء القاهم ان يدخل الجو الشعري دون استئذان وتوجيه وعرض وبسط آراء . . . ليته لم يفعل ! .

وبعد هذا العتاب ، نلج دنيا « الحرية » على نغم حلو مهرته عاطفة عميقة ، وخيال مغداق ، ورجع بعيد الصدى ، وتطلع فيه يقين نحو القمم . . . يوسف الخـال ، من رفاق المحاولة المخلصة ، التي تود صادقة نقل الشعر العربي من حـدود القول الرتيب الى حدود الخلق والابداع، وهو في مجموعته على ظمأ . . . يود لو ينطلق في الغيب مطوفاً في القبل والبعد ، وهو بعد ابن الارض ، هـذه المزيج من تراب وماء، والتي افترضت عوالم وعصوراً ومقادير . . وهو في تفاؤله على تشاؤم ، فاعجب لشاعر عند مطل العمر يود لو استعجل الايام المترددة في اقبالها عليه . . . وهو في غزله حائر بين صوفية مثالية وبين رغبات يرفع بها في براعة الى مثالية وادعة . .

اما بلاده ، فلها منه كل شيء، وله كدح وجهاد ، واعتزاز يصل الى مرتبة التقديس بل العبادة . . .

« الحرية » باقة تنسجم في النغم الجديد، صورة لجهد، ومحاولة لنقلة ، وكد من اجل الحق والخير والجمال ! .

٢ — خفقات قلب

للاستاذ ابراهيم يعقوب عوديا – ١١٤ صفحة – مطبعة الرشيد – بغداد

مجموعة شعر ، لابراهيم يعقوب عوديا ، تطل من العراق ، حاملة خطرات صاحبها في مواضيع تختلف اداء وخيالاً ، وهي تجنح الى الطريقة الكلاسيكية في السرد والتمهل ، وتجمع الى جانب ذلك آراء في الحياة متأثرة بالزهاوي الكبير ، فيها اعراض عن الحيـاة وعزوف عن مغرياتها .

تحت وابل القنابل

بقلم شكري فيصل

.. هذه دمشق ، تخرج من بين السنة النار الحمراء ، وسحائب الدخان الاسود الكثيف .. وتشق طريقها من غمرة أمواج اللهب ، ولجة القصف المروّع ، وزبد الدم الفوار يغمر جنباتها ويروي ساحاتها .. فيحتضنها الجبل ، وتنسحب على أذيالها الغوطتان ، ويغسل بردى بالرحيق السلسل اقدامها التي تحطمت عليها القنا ، وتكسرت عليها القنابل ، وانتثرت عليها الشظايا كما تنتثر حبات القمح على التربة الزاهية الحمراء .

.. وهذا الجبل يحتضنها ويعانقها .. لشد ما ارتطم عليه الحديد ، وسفعت جوانبه النار ، وولولت في كهوفه ومغائره الضجات .. كانت كلها كأنها تنذره بفراق المدينة التي احبها ، حين كشر الذئب عن الناب ، وتجهم للبلدة التي افاضت عليه الخير ، وأغدقت عليه النعيم ، وسحبت عليه اذيالاً من الرخاء .. فعبث الرصاص بالسلام ، وضحك المدفع من الامن . وهزأت القنابل بروعة المساء ، والق الافق وفتنة دمشق في ساعات الغروب .. ولكن الجبل الذي اثقلوا كاهله بالقلاع ، وقيدوا أطرافه بالحديد ، واعتلوا مناكبه بالبارود والنار ، لم يحن رأسه ، ولم يطأطىء من إشرافه ، وظل يلتف حول المدينة بالذراع العبل الاسمر ، والقامة المديدة المنتصبة ، كأنما يحميها عاديات الزمن ، وكوارث الايام

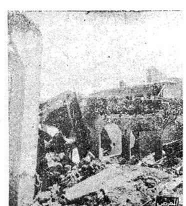
.. وهذان النيربان ، والغوطتان .. ينبسطان من امام المدينة ومن حولها بالهالات الخضر ، والاريج العطر . انهما ليضفران لها أكاليل الغار ، ويعقدان لها ألوية النصر . إنها ابنتها البكر ، وتراثهما الخالد .. فليصوغا لها من الهوى والحب ، ومن الندى والنضار ، أروع الزينات .. فاطالما خفيت عنهما معالمها في قتام الغبار ، ودخان النار .

*

. هذه دمشق . من كان يصدق ان في دمشق حجراً يعلو فوق حجر ، بعد الليالي الثلاث السود ، وقد صُب عليها العذاب من فوقها ومن تحتها ، وعن ايمانها وشمالها . والكأنما بعثت الى الحياة من جديد ، فبعثت شعثاء ، غبراء ، مجروحة دامية ، في أطرافها ندوب ، وعلى صدرها كلوم ، وفي طرقها الاطلال الجاثمة تبعث الروعة وتستثير النقمة وتغلي في القلوب الحقد ، وتحدث أحجارها الصامتة الخرساء باللغة التي يفهمها كل انسان ، ويتأثر بها كل حي ، وتدمع لها كل عين ، وتنحني من امامها البطولات تمجدها وتباركها وتقبل ثراها الدامي . تحدث حديث الغدر الذي يشوبه اللؤم ، وتقص قصة القوة التي يغطيها المكر ، وتسجل اجرام عصابات من اللصوص والاشقياء ... وترتد الى التاريخ البعيد البعيد ، وتكر مع عجلة الزمان الراجعة ، لتذكر « نيرون » .. انه كان له من « هؤلاء » نسل وعقب ، وكان له بنون وحفدة . هموا بالمدينة يحرقونها ولا ينذرونها ، ويدكونها ولا يشعرونها ، ويطيحون ببنيانها واركانها ولا يوقظونها ويرقصون بالرطانات فوق معالمها ومسارحها ، وتؤز الطائرات تصم آذان اولادها وبنيها ... انه جنون الحقد ، وسعر الاجرام . وانها دمشق ، كنانة الله ، وشاطىء صحرائه الطهور .. ويا ما تكسر على الشاطىء موج متدافع ، ويا ما ذاب على اقدامه وصخوره زبد ورغاء كرغاء البعير !

.. يا للنساء والاطفال . وهل في النساء والاطفال من كان يظن انه سيفتح عينيه للنور المشرق وستنبلج لياليه عن الضوء المونق ، وسيرى من حواليه امه واباه ، ورفيقه وأخاه ، وداره وحماه .. كانت الطائرة تلامس اسطحة المنازل ، وكانت قذائفها تولول وتزمجر ،

آثار القنابل على جدران مجلس النواب السوري



منظر من دمشق وليس من ستالينغراد

وتصر وتنفجر، فتقف لها الشعور، وتنخلع لها الافئدة وتنبعث من هؤلاء الاطفال آهات.. هن وحدهن كن المزعجات المبكيات، وتنطلق تنهدات، هن وحدهن المقعدات المقيمات. وتتطلع من وراء الفتيل الشاحب في الوجوه فتجد العين المغمضة على الرعب، واللسان المعقود على الفزع، والقوة التي انهدت مع الذعر، والشفاه التي تراقصت عليها الادعية والتمتمات.. فتمتلكك سورة الغضب، وتعصف بك ريح من البغض العميق. يا ويح الانسانية حين تستظل بها هذه المجازر المخوفة!! ويا ويح الانسان اذ ينسى اياماً قريبة لم تتصرم، حين كان يشكو البغي، ويستنكر العدوان، ويستصرخ الضمير والوجدان.. ان ضميره اليوم رماد وسواد، انه شواظ من نار، وسحب من دخان!

☆

.. وما أمر الذكرى، حين تنثال من امامي الصور، وترن في اذني الاصوات.. اني لاحس كيف تهصر قلبي، وكيف تهصره في حرقة ألم عميق.. انها صورة كل اسرة في كل بيت، وقد اصطبرت اكثر الليل، ثم اشتدت الواقعات، فاذا هي تزحف الى غرفة منعزلة في أقصى الدار، واذا الام ومن حولها اطفالها الاربعة يطيفون بها واذا بسيل من رصاص يكاد نوره يخطف ابصارهم، فيغمضون اعينهم حين تتفتح شفاههم عن الآهة، وينتفضون كأنما اصابهم مس، ويطرقون الى الارض يدفنون رؤوسهم في احضان الام كأنما يحتمون في جناحها الرقيق.. ويتولى أحدهم يمينها، وتتولى الثانية يسارها، وتستلقي الصغيرة الثالثة في حجرها، ويحاول الطفل الرابع ان يفسح له المكان، فلا يزال يوسع لنفسه هنا وهناك حتى يجد الساق الذي ينعم باطراقته.. وتصفر القنبلة قبل ان ترتطم، هذا الصفير الحاد العنيف. لا كانت ولا كان البوم. فيسود الذعر، ويفحص الاطفال الارض بأقدامهم وأيديهم كأنما ينبشون عن ملجأ.. وتتلقاهم الام تنحني عليهم وتضمهم اليها في قوة وحنان، كأنما يخيل لهذه المسكينة ان هذا الحنان يدفع عنهم الكارثة ان تحل من فوقهم، والبيت ان يتهدم من حولهم، والدنيا ان ترتج هذا الارتجاج العنيف المخيف.

ويا رحمة الله للذين تدهمهم هذه المصيبة العمياء.. ان تعرف انهم عزل هادئون، وابرياء مسالمون، ولن تدرك انهم أطفال عابثون او شيوخ عاجزون.. ان الذي قذف بها لم يستطع ان يقذف خصمه، ولم يتطاول بها على اعدائه، وانما جاء هنا يريدها مدمرة، مبيدة، مميتة، لا تبقي على انسان، ولا تذر على حي، ولا تمر على شيء الا جعلته كالرميم.

وحين ترتطم القنابل.. حين تقع على غير هدف، وتصيب على غير هدى، تنبعث الصيحات من كل قلب، صيحات يصطلح عليها الحذر والاشفاق، ويملؤها الخوف والحيطة، ويرفع هؤلاء الاطفال رؤوسهم الصغيرة، كأنما يسألون عنا اين نحن.. ثم لا يلبث الصفير المتجدد ان يعود بهم الى شر من حالتهم الاولى.

والشظايا، يا للشظايا المهلكة!.. من كان يراها من بعيد تتطاير كصغار الجراد او كبار الطير، وتتساقط على الاسطحة والجدران كالمطارق، ويكون بينها وبين الزجاج ان ينفرج لها عن صوت قوي عريض؟.. ومن يراها جريئة وقحة، تتطاير من مكان الى مكان، وتسقط مخترقة حاجزاً وراء حاجز، تهلك وتحطم، وتميت وتبيد، حتى تفتر فيها الجرأة ويبرد العزم.

☆

يا أطفال دمشق.. ايها الاطفال الذين قضوا هذه الليالي السود، لم يغمض لهم جفن، ولم يهدأ لهم وجيف ولم تنسم عليهم الريح الندية، والذين عرفوا الليل نهاراً تملؤه الكآبة شفات والقاذفات، وتقطعه الآهات والانات.. ايها الاطفال الذين اسكرتهم



خرائب وانقاض ...

الكارثة ، واذهلتهم المصيبة ، وملأت خياشيمهم رائحة الدخان والبارود .. لتكن هذه الصور في اذهانكم حية لا تمحي .. ولتكن هذه الاصوات في آذانكم مدوية لا تخفت .. وليكن هذا العبق ملء صدوركم لا يضوع ... انهم قد يغنون لكم انشودة السلام، فاحذروا ان تلهيكم روعة الانشودة عن هزج الانتقام ..

وانهم قد يحملون لكم صورة من المثل العليا، والخرافات الانسانية الكبرى، فاحذروا ان تنسوا هذه الصورة التي انطبعت في قلوبكم : الطائرات تهتدي بلهب الحرائق ، والدبابات تمضي على جثث القتلى ، والقنابل لا تدري ما تأخذ وما تدع ... وسيحاولون ان يقدموا لكم افاويق الزهر ، وباقات العطر ، وأغصان الزيتون الخضراء ، وعيدان الغار اللدنة ، فانشقوا من ورائها روائح الرصاص المدوي ، والغبار الثائر .... ليضع كل منكم رأسه بين كفيه ، وليذكر دائماً هذه الليالي المفجعة ، وليلمس ذراعه وساقه فسيجد جراح الشظايا وأثر الندوب ، وليلتفت حيث شاء فسيجد الخرائب التي ينعق فيها البوم ، والحرائق التي يجللها السواد ، وليزر هذه المقابر هنا وهناك فستحدثه حديث الشهداء الاحياء ، ستقول له ان اعداء الوطن ارادوا ان يدفنوه حياً ، ولكنه عاش ، وسيعيش ، لان الحياة حقه ، ولانه احق بالحياة من الطغاة البغاة الظالمين .

يا أطفال دمشق وحمص وحماه ودير الزور .. ايها الاطفال الذين شهدوا ليالي اواخر ايار واوائل حزيران ، رضعاً في المهد ، او جثماً في الاحضان ، اذكروا حين تلقون رؤوسكم على الوسائد ، ويمتد الليل يلفكم بجناحين نديين ، ويغشى المدينة صمت عميق لا تقطعه غير انفاس الزهر ، وعبير الورد ، وارج الغوطتين . اذكروا ان قوماً ، قد ماتت في نفوسهم نوازع الخير ، وانطفأت فيهم مُثل الحق ، وضاعت عندهم قيم الانسانية ، وتجلدت في افئدتهم العواطف ، قد حرموكم سحر الليل وهدوءه ، ثم دفعوا اليكم الموت الواناً ، وصبّوا الحمم ناراً وبركانا ، وقتلوا منكم أهلاً واخوانا .

يا أطفال العرب .. ايها المنكوبون بأمهاتهم وآبائهم ، واخوانهم وأهليهم ، لقد مهرتم الحرية ثمناً غالياً فلتكن دوماً ملك ايمانكم الطاهرة .

دمشق

شكري فيصل

تتمة تاريخ الزجل في لبنان

وطريقتها أن تكون لازمتها بيتاً واحداً ، صدره على كل حال : « يا ميجنا يا ميجنا يا ميجنا » ، وعجزه راجعاً الى تلك التقفية ، وأن يكون الدور منها على طريقة المعنّى ، أي ان شطرَي البيت الاول ، وصدر البيت الثاني من قافية ، وعجز البيت الثاني من القافية العامة . أما « أبو الزُلف » أو أبو الزَلَف » ، وتسمى ايضاً : « المولياً » ، فمن الذلَف ، بذال معجمة ولام محركة . جاء في « الاساس » (١ : ١٥٧ — من طبعة مصر ، سنة ١٣٢٧ هـ) : « وفي أنفها ذلف وهو قصر وصغر الارنبة وهو مستملح » . وفي « الصّحاح » (٢:٢٦) : « قال الشاعر :

انما الذلفاء ياقوتة اخرجت من كيس دهقان » .

ومن شواهد ابن عقيل (شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك : ٢١٩ — من طبعة الادبية) :

يا ليتني كنت صبياً مرضعا تحملني الذلفاء حولاً أكتعا
اذا بكيت قبّلتني أربعا اذاً ظللتُ الدهر أبكي أجمعا

قال العدويّ في « شرح أبيات شواهد ابن عقيل » (ص ١٨٨ — من طبعة بيروت ، سنة ١٨٧٢) : « سببه — يعني سبب هذا الشعر — أن اعرابياً نظر الى امرأة حسناء جميلة ذلفاء » الى آخر قوله . وقال الجرجاوي في « شرح شواهد ابن عقيل » (ص ٢٧٤ — من الطبعة الحجرية) : « وتطلق — يعني الذلفاء — على المرأة الحسناء كما ان الرجل اذا كان حسناً يقال له أذلف » . وقال الامير شكيب ارسلان في « السيد رشيد رضا أو اخاء اربعين سنة » (ص ٤٩ — في الحاشية) : « وانه — يعني اسم ذلفا — بالذال المعجمة لا بالزاي ولكن العامة لفظته بالزاي كما تفعل في كثير من الالفاظ » . فكأن وقوع هذا الاسم (أبو الزلف) على هذه الطريقة الزجلية من قولهم فيها : « هيهات يابو الزلف عيني يا موليًا » . و « موليًا » من المُوالي ، وهو : المصادق ، والمناصر ، او من المولى ، وهو ، ايضاً : الجار ، والناصر ، وابن العم ، وكلها يوافق المعنى : وطريقة « ابو الزلف » أن تكون لازمتها بيتاً واحداً ، صدره ، على كل حال : « هيهات يا بو الزلف عيني يا مواليًا » ، وعجزه راجع الى هذه التقفية ، وأن يكون الدور احد نسقين : اما عادياً ، أي بيتين صدر اولها ، وعجزه ، وصدر البيت الثاني من قافية واحدة ، وعجزه من قافية ترجع الى قافية اللازمة ، واما على النسق الذي استحدثه والدي ، أي اربعة ابيات صدورها من قافية ، واعجازها من اخرى ، عدا عجز البيت الاخير ، فهو يرجع الى قافية اللازمة .

امين نخله

مجمل الأحداث السياسية والحربية في شهر

٢٩ ايار ١٩٤٥ – الف المستر تشرشل الوزارة البريطانية الجديدة لتدير شؤون البلاد حتى الانتخابات العامة في ٥ تموز القادم . وهكذا انتهت وزارة الائتلاف التي بقيت منذ بدء الحرب .

٣٠ – لا يزال القتال شديداً في مدن سوريا وقد حصلت انفجارات عديدة في دمشق سببت مجموعة من الحرائق وقد وصف المستر ايدن الحالة بأنها بلغت « منتهى الخطورة » .

٣١ – بعد ان بلغ الاعتداء الفرنسي على سوريا ولبنان أوجه ، اعلن المستر ايدن في مجلس العموم ان المستر تشرشل ارسل الى الجنرال ديغول يبلغ شديد اسفه باضطرار الحكومة البريطانية الى التدخل في حوادث سوريا ولبنان ، وانه امر القائد البريطاني العام في الشرق الاوسط بالتدخل لوقف القتال الناشب الذي تقوم به القوات الفرنسية وان تنسحب هذه القوات الى ثكناتها . ثم ختم رسالته بأن انكلترة مستعدة لفتح محادثات ثلاثية ، تشترك فيها بريطانيا واميركا وفرنسا لتسوية الحالة على ان لا يمس ذلك باستقلال البلدين .

توقف ضرب دمشق بالقنابل من الجو مساء اليوم .

١ حزيران – دعت بريطانيا فرنسا لارسال ممثلين عنها للمحادثات الثلاثية ، التي تجري بين فرنسا وبريطانيا واميركا .

٢ – تولت القيادة البريطانية الاشراف العسكري في سوريا ولبنان بدلاً من القوات الفرنسية .

خطب الجنرال ديغول في اجتماع صحفي عن مسألة سوريا ولبنان فقال ان لهذه المسألة صفة دولية لا محلية . وقال : ان فرنسا على استعداد للمفاوضة ليس فيما يتعلق بسوريا ولبنان ، بل فيما يتعلق بالعالم العربي اجمع لان الولايات المتحدة وروسيا مهتمتان بالامر ايضاً .

٤ – عقد مجلس جامعة الدول العربية جلسته التاريخية الاولى برئاسة محمود فهمي النقراشي باشا رئيس الوزارة المصرية وبحضور مندوبي دول سوريا ولبنان والعراق والمملكة العربية السعودية وشرق الاردن . وعند افتتاح الجلسة تلى امين السر رسالة الملك فاروق التي وجهها الى مجلس الجامعة . ثم القى رؤساء الوفود العربية خطبهم ، وبدأت بعد ذلك جلسات المجلس .

صرح رئيس الجمهورية السوريه انه بعد ان تكشف العمل العدواني الذي قامت به فرنسا في سوريا صار من الواجب تقديم الجنرال بينيه والجنرال روجيه الى المحاكمة بوصفها مجرمي حرب اسوة بمجرمي الحرب في اوربا .

٥ – أدلى المستر تشرشل في مجلس العموم بياناً ضافياً عن سوريا ولبنان فند فيه مزاعم الجنرال ديغول التي القاها في خطابه السابق وقد بين الوزير البريطاني الاول ان بريطانيا لم تثر الاضطراب في الشام ولكنها استعملت نفوذها لخلق جو هادىء يمكن للمفاوضات فيه ان تجري بهدوء .

وقعت في برلين اتفاقية احتلال المانيا من قبل المارشال زوكوف والمارشال مونتغمري والجنرال ايزنهاور والجنرال دي تاسيني وقد اعيدت حدود المانيا الى ما كانت عليه في ١٩٣٧ قبل ان تغزو النمسا وتشيكوسلوفاكيا .

طلبت الحكومة الايرانية سحب قوات الاحتلال من بلادها وفقاً للمعاهدة الثلاثية : ايران ، بريطانيا ، روسيا ، التي تقضي بسحب جنود الاحتلال بعد ستة اشهر من انتهاء الحرب . وقد اجابت بريطانيا انه بالرغم من ان الحرب لم تنته بعد في الشرق الاقصى الا انها ستنظر في هذا الطلب .

٦ – نشبت بين العرب والسنغاليين في جهات متعددة من مرسيليا اضطرابات ذهب فيها عدة قتلى .

١١ – اصدر مجلس الجامعة العربية قراراً قال فيه : نظر مجلس الجامعة العربية في التدابير الواجب اتخاذها افراداً واجمالاً لرد العدوان الفرنسي وحماية استقلال وسيادة سوريا ولبنان كما ابن وقررت الجامعة ابلاغ الدول العربية المشتركة تواصيها بهذا الشأن . . .

استدعى اللورد كريغ الوزير المقيم في الشرق الاوسط الصحافيين في سورية ولبنان وفند امامهم التهم التي يوجهها الفرنسيون الى بريطانيا ، في بيان طويل .

١٢ – قدم السنيور بونومي استقالة الوزارة الايطالية .

١٤ – قال المستر تشرشل اثناء المناقشة في مجلس العموم : اؤكد مرة اخرى ان بريطانيا لا تضمر اي ميل للتوسع في سورية .

١٥ – اسر ضابط بريطاني وزير خارجية المانيا السابق فون ريبنتروب .

استولت القوات الاميركية على اعلى نقطة من منحدر ياجو في اوكيناوا .

استولى الاستراليون في بورنيو الغربية على مدينة بروني .

١٦ – ردت الحكومة البريطانية على المذكرة الفرنسية ، انها لا توافق على عقد مؤتمر خماسي لبحث المشاكل العربية واقترحت بدلاً من ذلك محادثات بريطانية فرنسية تشترك فيها اميركا وسوريا ولبنان .

اعلن ملك البلجيك ليوبولد عزمه على العودة الى بلاده فقدمت وزارة فان اكر استقالتها الى الوصي على العرش لانها لا تستطيع تحمل المسؤولية عن النتائج المنتظرة .

١٧ – وصل الى القاهرة الامير سيف الاسلام عبدالله نجل الامام يحيى امام اليمن ، للاشتراك في اعمال مجلس جامعة الدول العربية .

١٨ – توفي الكولونيل جنرال برزارين القائد السوفياتي في برلين ، على اثر حادث اصطدام دراجة بخارية نارية .

١٩ – تكلم الجنرال ديغول في المجلس الاستشاري عند استئنافه المناقشة بشأن سورية ولبنان فلم يخرج عن النغمة التي رددها في خطبه السابقة ، وقد قاطعه بيير كوت وزير الطيران السابق غير مرة وقال ان من الضروري ان تنظر الى اعمال بعض الوكلاء الانكليز بل الى الخلاف بين الفرنسيين والسوريين .

اتخذ المجلس الاستشاري الفرنسي قراراً بشأن سورية ولبنان يعلن فيه تأثره من الحوادث الاليمة التي وقعت فيها ، ورغبته في ان تسير الجمهورية الفرنسية بسياستها في الشرق الاوسط وفق روح تصريح حقوق الانسان مؤكداً صداقة الجمهورية للعالم العربي ، واستعداد فرنسا لعقد معاهدة حرة مع سوريا ولبنان .

٢١ – ربح الحلفاء معركة اوكيناوا بعد قتال دام ٨٢ يوماً .